الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

جامعة محمد بوضياف
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:..../.....
رقم التسجيل: 075121242
رقم التسجيل: 02384152

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري

بعنوان:

# إشكالية الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة

## – رواية "فضل الليل على النهار" لياسمينة خضرا أنموذجا–

إعداد الطالبتين:

– فاطنة بوصبع.

– فاطمة بن جدو.

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

| | | | |
|---|---|---|---|
| د. العايب عبد العزيز | أستاذ محاضر (ب) | جامعة محمد بوضياف بالمسيلة | رئيسا |
| د. عثمان مقيرش | أستاذ محاضر (ب) | جامعة محمد بوضياف بالمسيلة | مشرفا ومقررا |
| د.السحمدي بركاتي | أستاذ محاضر (أ) | جامعة محمد بوضياف بالمسيلة | ممتحنا |

السنة الجامعية: 1439-1440هـ 2019/2018 .

بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة شكر

بكل العرفان أسجل عظيم شكري وخالص امتناني لأستاذي المشرف الدكتور "عثمان مقيرش" الذي كان إشرافه عليَّ إنسانيا قبل أن يكون أكاديميا، فكان الموجه والمتابع للبحث في كل مراحله وقد أفادني كثيرا من ملاحظاته ونصائحه.

شكرا جزيلا.

إلى كل من مد لي يد العون ذات يوم ولو بالكلمة المشجعة والابتسامة الطيبة.

الشكر الكبير لكل أساتذتنا الكرام في قسم اللغة العربية وآدابها.

أقول شكرا لكل من يتعب من أجل تحصيل العلم والمعرفة، لمن يسهر ليلة يحاور القلم

شكرا لكل من سهرته وأرقته الفكرة بين الذهاب والإياب.

وقفة عرفان واحترام وامتنان طول الزمن.

يعتبر الأدب ترجمة للتطور الفكري والتاريخي لوعي الإنسان بذاته، فهو يساهم في بلورة واقع جديد يختلف عما عرفته الحضارات السالفة والأمم السابقة، وعلى ضوء ذلك ظهر الأدب عند العرب ليرصد مختلف مظاهر المجتمع وتحولاته الاجتماعية والفكرية... الخ، ليشق طريقه ويطور ذاته ويستلهم قضاياه.

والرواية العربية هي الأخرى نحت هذا المنحى التطوري المجتمعي، ولم تكن الرواية الجزائرية بمنأى عن الرواية العربية بصفة عامة، وقد أخذت الرواية أشكالا وألوانا مختلفة، حيث كانت الرواية الواقعية، الرواية الاجتماعية، الرواية الاديولوجية، ورواية " فضل الليل على النهار" للكاتب " ياسمينة خضرا" تناولت الأدب من هذا الباب، وكانت مشكلة الهوية الحجر الأساسي الذي انطلقت منه وبنيت عليه.

ولتناول الرواية بالدراسة والبحث طرحنا بعض التساؤلات والإشكالات منها:

- هل استطاعت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية أن تعكس المواضيع الخاصة بالحياة الجزائرية السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها؟.
- ما علاقة الهوية برواية فضل الليل على النهار؟
- ما أسباب أزمة الهوية في رواية فضل الليل على النهار؟

وقد رسمنا خطة بحث لدراستنا هذه كانت كالآتي:

مقدمة وفصلين وخاتمة وملحقا للبحث، حيث عرضنا في المقدمة إشكالية البحث والمنهجية، ثم خصصنا فصل نظري تناولنا من خلاله الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، أين تم التطرق فيه إلى النشأة ومراحل التطور، بالإضافة الى هوية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية من خلال القائلون بقومية هذا الأدب والقائلون بأنه أدب فرنسي والقائلون بأنه أدب بلا هوية.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه للجانب التطبيقي تم التطرق فيه إلى تمثلات الهوية في الرواية " فضل الليل على النهار" فدرسنا اللغة والدين والعادات والتقاليد والمرأة، وخاتمة لخصنا فيها نتائج البحث.

هذا وقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي، واعتمدنا على مراجع ودراسات سابقة منها كتاب الرواية الجزائرية الحديثة بين الهوية الثقافية والهوية السردية "**إشكالية الهوية والاغتراب في رواية ساق البامبو" لـــ سعود السنوسي.**

وقد واجهتنا صعوبات أثناء انجاز البحث من أبرها:

- قلة الدراسات حول الرواية بصفة خاصة وروايات ياسمينة خضرا بصفة عامة.
- ضيق الوقت وقلة الزاد المعرفي في هذا الباب.

وكانت لمسايرة أستاذنا الفاضل الدكتور " عثمان مقيرش" الفضل الكبير والسند المعين لنا طيلة انجاز هذا البحث والدراسة، فله منا جزيل الشكر والعرفان والامتنان، كما لا يفوتنا أن نخص بالشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء القراءة والتصويب لبحثنا هذا، لهم منا كل التقدير والاحترام.

كما نتوجه إلى المولى عزوجل بخالص الشكر وحسن الحمد والثناء على أن وفقنا لانجاز وإتمام هذا البحث، نسأله السداد وحسن الرشاد.

# الفصل الأول

## الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

**أولا: نشأة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.**

**ثانيا: مراحل تطور الأدب الجزائري.**

**1- الأدب الكولونيالي.**

**أ- الأدب الكولونيالي الاندماجي.**

**ب- الأدب الكولونيالي الثوري.**

**2- رواية ما بعد الاستقلال (رواية ما بعد الكولونيالية).**

**3- الأدب الاستعجالي: رواية الأزمة المكتوبة باللغة الفرنسية.**

**ثالثا- هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.**

**أ- مفهوم الهوية.**

**ب- القائلون بقومية الأدب.**

**جـ- القائلون بأنه أدب فرنسي.**

**د- القائلون بأنه أدب بلا هوية.**

**أولا: نشأة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.**

الأدب الجزائري شأنه شأن الآداب العالمية والعربية يتأثر بما حوله من عوامل تاريخية واجتماعية وثقافية وفكرية وسياسية، ويأتي في مقدمتها الاستعمار الفرنسي الذي اتخذ من سياسة التجنيد لطمس معالم الهوية الجزائرية الإسلامية العربية، فقد جند كافة الوسائل وتوسل مختلف الطرق الكفيلة بتحقيق ذلك من بينها:

- منع تعليم اللغة العربية ومحاربة المدارس القرآنية والزوايا التي كانت تقوم بمهمة تعليم الجزائريين لغتهم ودينهم.

- تشجيع الحملات التبشيرية.

- إنشاء المدارس الفرنسية المختلطة في المدن، هذه الأخيرة ضمت الغالبية العظمى من الفرنسيين والأقلية من الجزائريين، وكان الهدف من وراء ذلك تكريس اللغة الفرنسية باعتبارها لغة حضارة وثقافة، وكذا تكوين جيل جديد يتطلع إلى القيم المثالية، ويعتنق الأفكار التي تشيد بفرنسية الجزائري وحق فرنسا في حكم الشعب وامتلاك الأرض.

إن الحديث عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، وعن الرواية بصفة خاصة كونها الجنس الأدبي الذي اتخذه الجزائريون أداة للتعبير عن آرائهم ومشاعرهم، يفضي إلى الإشارة إلى الإشكالية التي عانى منها هذا الأدب والمتعلقة بهويته وأصله.

فاللغة التي كتب بها هذا الأدب هي التي جعلت البعض يعتقد أنه أدب فرنسي وهو الأمر الذي أوقع الخلط بين الروائيين الجزائريين ونظرائهم الأوروبيين ممن ولدوا في الجزائر، وجعلوها موضوعا لإبداعاتهم من أمثال " **ألبير كامو**" **و** " **جون سيناك**" وغيرهم، حتى أن بعضهم " تناولوا مواضيع جزائرية أبدوا من خلالها اهتماما أصيلا بمشاكل الجزائريين"[1]، فالفرق بين الفئتين ظل واضحا، " فاستعمال لغة مشتركة وهي الفرنسية لم يوحد وحدة وتماثل بين الكتاب الجزائريين والكتاب الفرنسيين، ولا يمكن هذا الاختلاف في الأساس أو الخلفية التعليمية التي تعتبر متماثلة غالبا بالنسبة لكلا الفئتين، بل

1 - عايدة أمينة أديب، تطور الأدب القصصي في الجزائر (1925-1967)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1962، ص 53.

يرجع لعوامل جغرافية واجتماعية وتاريخية تخضع لها كل منها، فالجزائريون هم الثمرة المباشرة لأرضهم (...) في حين أن الفئة الأخرى متعلقة بالأرض فقط".[1]

لذلك كان لزاما علينا أن نحصر عبارة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في ذلك الأدب الذي كتب من طرف أدباء جزائريين يحملون في أعماقهم هموم الأمة الجزائرية أما ما كتبته الفئة الأخرى فهو أدب فرنسي كتب في الجزائر، يعبر في أغلبه عن العقلية الاستعمارية الاستيطانية، ومن هنا فإن " الفرق يتمثل في الرؤية، فرؤية الكتاب الفرنسيين تختلف تماما عن رؤية الكتاب الجزائريين ذوي اللسان الفرنسي" [2]، ويمكن اعتبار هذا نقطة اختلاف وفرق بين الفئتين.

كما يمكن الإشارة إلى أن الثقافة الفرنسية للأغلبية الساحقة من الروائيين الذين يكتبون بالفرنسية لا تعني أبدا أن توجههم فرنسي، وخاصة إذا علمنا أن تلك الثقافة كانت مفروضة عليهم فرضا، لإتقانهم لها ويصدق هذا الطرح على الرعيل الأول من الروائيين الجزائريين خاصة الذين عاشوا في ظل الاستعمار وتعلموا في مدارسه، وكان إتقانهم للغة العربية شبه منعدم ما حرمهم فرصة الاطلاع على الكتب التي ترسخ الطابع العربي الإسلامي للأمة الجزائرية وهذا لا يعني جهلهم التام لهذين الطابعين.

أما الجيل الثاني والثالث، فعلى الرغم من استعمالهم للغة نفسها التي استعملها الجيل الأول، إلا أن الوضع مختلف وذلك بدليل أن بعض الأدباء من الجيلين اللاحقين يكتب باللغتين نظرا لازدواج المورد "أي أن الترسيخ الأولي للبنية الثقافية كان تشخيصا مزدوجا".[3]

فاستقرار بعضهم في فرنسا بعيد عن الوطن شكل أيضا سببا هاما من أسباب اكتسابهم للثقافة الفرنسية، بينما ظلت روحهم جزائرية، وقد أشاد بعضهم بهذه الازدواجية " فعندما تندمج الروح الشرقية للجزائر بالثقافة الفرنسية التي يستخدمها الكتاب الجزائريون

1 - عايدة أمينة أديب، نفس المرجع السابق، ص 53.

2 - عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2009، ص 211.

3 - بوبكر بوسكين: حوار مع وسيني الأعرج، مجلة الموقف الأدبي (شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب)، العدد 434، دمشق- سوريا، حزيران 2007، ص 160.

تكون النتيجة أدبا أصيلا، فالأدب الجزائري مع ما له من خصائص عربية عديدة تميزه يختلف عن الأقطار العربية، بحيث لم يكن للاستعمار تأثير مشابه على التعليم والثقافة..."[1]، بل ويميز الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية عن نظيره المكتوب بالعربية.

فنشوء الرواية عند الغرب يعود إلى عدة قرون سابقة، وهي تطور مستمر واكتمل نضجها الفني في القرن العشرين خاصة في فرنسا، وهذا ما يجعلنا نجزم بأن الفرنسيين كانوا يتقنون هذا الفن وقت احتلالهم للجزائر، لذا يمكن اعتبار بعض الجزائريين خاصة أولائك المتصلين بالفرنسيين كانوا على دراية بهذا الفن، غير أن السياسة الاستعمارية آنذاك لم تسمح لهم بالتعبير عن آرائهم.

أضف إلى ذلك الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاهرة التي عانى منها الجزائريون مع مرافقها من انحطاط ثقافي بفعل الانتشار الواسع للجهل والأمية في أوساط الشعب، كل هذه الأسباب أخرت ظهور أي إنتاج روائي جزائري سنوات عديدة إلى غاية عشرينيات القرن العشرين، لتشهد بعض الحراك الأدبي.

**ثانيا: مراحل تطور الأدب الجزائري.**

لقد مر الأدب الجزائري في نشأته بمراحل نذكرها:

**1- الأدب الكولونيالي:**

كان وليد المدارس المختلطة في الجزائر مجموعة من المثقفين الجزائريين الذين امتلكوا نظرة واسعة للعالم فأدركوا حقيقة ما يحدث في بلادهم، فاتخذوا من اللغة الفرنسية التي اجبروا على تعلمها لتكون بديلا عن لغتهم الأم وتعزز انتمائهم لفرنسا وسيلة الدفاع عن حقوق شعبهم وتحصيل حريتهم من خلال كتابات قصصية تحاكي الواقع وتفضح زيف الإدارة الفرنسية.

1 - حفناوي بعلي: أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2004، ص 156.

حيث تعود الجذور الأولى له إلى سنة 1891 بمحاولة كتبها القاص **محمد بن رحال** (1856- 1928)[1] تحت عنوان " انتقام الشيخ " la vengeance du cheikh[2]، وقد كانت هذه الأقصوصة عبارة عن محاولة متواضعة لجزائري حاول الاهتمام بوضعية شعبه في ظل الاستعمار وهي "مستقاة حسب ما يذكر"**ديجو**" من التقاليد الاجتماعية الجزائرية".[3]

غير أنه ونظرا "ولأهميتها نشرت هذه القصة في المجلة الجزائرية التونسية الأدبية والفنية في العدد الثالث يوم 26 سبتمبر – 03 أكتوبر 1981".[4]

وظل الوضع على حاله وضلت الجزائر تعيش حالة من الركود والخمول الثقافي المبرر إلى أن جاءت سنة 1912 مع أحمد بوري، الذي كانت له محاولة جديرة بالاهتمام مجموعة قصصية جمعت في كتاب بعنوان: "**مسلمون ومسيحيون**"، غير أن هذه المحاولات تبقى متواضعة.

**أ- الأدب الكولونيالي الاندماجي:**

كانت البدايات الأولى للأدب الجزائري باللسان الفرنسي عبارة عن محاولات لمجموعة من الأدباء أطلق عليهم باسم المتطورين (les évolues) والذين اقتنعوا أيما اقتناع بأن فرنسا قد نجحت في مهمتها الحضارية، إذ كان لابد من إظهار شيء ما أمام الرأي العام العالمي والفرنسي يبرر استمرار الاحتلال للبلاد[5]، وكأنهم يريدون من وراء ذلك أن يثبتوا بأن فرنسا أرادت أن تخلص الجزائريين من الجهل والتخلف لذا جاءت جل أعمالهم داعية إلى المزاوجة بين الجزائريين والفرنسيين وتصوير العلاقة بينهما على أنها علاقة حميمية تبعث على التآلف والانسجام، وقد كانت هذه الأعمال في مجملها تمجيد

1 - أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2007، ص 87.

2 - أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سيسيونقدية، دار ميم، الجزائر، ط1، 2013، ص 36.

3 - أحمد منور، المرجع السابق، ص 37

4 - أم الخير جبور، المرجع السابق، ص 36.

5 - سامية إدريس: الرواية الجزائرية الحديثة بين الهوية الثقافية والهوية السردية، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال اليوم الدراسي (الرواية بين ضفتي المتوسط)، الجزائر، 2011، ص 15.

لفرنسا لا تنظر لها على أنها دولة استعمارية بقدر ما تعتبرها دولة لها فضل في تحضر الجزائريين، لهذا " فإنهم كانوا يشيدون صراحة وبلا تحفظ بفضل الاستعمار على البلد ويظهرون إعجابهم بالثقافة والحضارة الفرنسية".[1] كلما أتيحت لهم الفرصة.

وقد امتد هذا التوجه في الكتابة إلى غاية سنة 1948م وهذه المرحلة يطلق عليها مرحلة المثاقفة والتقليد، حيث كان الكتاب الجزائريون يظهرون نوعا من التسامح والتآخي مع نظرائهم الفرنسيين.

وما تجدر إليه الإشارة أن كتابات تلك الفترة لم تكف أغلبها مناهضة للاستعمار وهذا ما ذهب إليه "**يوسف الأطرش**"، حيث يقول في هذه القضية: " **لقد كان كتاب مرحلة ما قبل الخمسينات يكتبون بالفرنسية إرضاء لفرنسا والفرنسية وليس للتعبير عن واقعهم وواقع شعبهم المضطهد**"[2]، بل هناك من ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أن فرحات عباس راح ينفي وجود أمة جزائرية قال في أحد تصريحاته: " **لقد سألت الأحياء والأموات وبحثت في المقابر وتصفحت التاريخ وراجعت القرآن، ولم أرى هناك مانعا يمنع مسلما من الاندماج في أمة غير أمة مسلمة، ولن أموت من أجل الأمة الجزائرية، لأنها غير موجودة**".[3]

ومع بداية سنة 1948 بدأت التساؤلات تطرح حول إمكانية اندماج الجزائريين مع الفرنسيين، هذه الفكرة التي نادى بها عدد قليل من الجزائريين لذلك سميت المرحلة بمرحلة التحول في الكتابة بالنسبة للنخبة الجزائرية.

يعتبر مؤرخ الأدب الجزائري باللغة الفرنسية " جون ديجو Jean déjeaux" " سنة 1920 البداية الفعلية لهذا الأدب، وذلك تزامنا مع صدور أول رواية بعنوان: " **أحمد بن**

1 - أحمد منور، المرجع السابق، ص 95.

2 - يوسف الأطرش: المنظور الروائي عند محمد ديب، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، د ط، 2004، ص 41.

3 - عبد الوهاب بن خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار طليطلة، الجزائر، ط1، 2009، ص 147.

**مصطفى القومي**" لصاحبها "**القايد بن الشريف**"[1]، وتلتها روايات أخرى " **زهرة زوجة المنجي**" التي كتبها " **عبد القادر الحاج حمو**" سنة 1925، ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا احتاج الأدب الجزائري كل هذا الوقت للظهور والتموضع على الساحة الأدبية والجواب موجود بالرجوع إلى السنة التي سبقت صدور أول رواية وهو انتهاء الحرب العالمية الأولى وإعلان مبادئ " **ولسن**" التي أعقبها انفراج نسبي في تعاملات الإدارة الفرنسية مع الجزائريين وذلك تطبيقا لقوانين 04 فيفري 1919 والتي ألغت معظم مواد قانون الأنديجانا العنصري.

وقد اعتبرت الإدارة الفرنسية ذلك مكسبا مستحقا للجزائريين الذين حاربوا إلى جانبها إبان الحرب العالمية الأولى وكذا الذين ساهموا في تشغيل المصانع الفرنسية خلال فترة الحرب، فنتج عن كل هذا حصول الجزائريين ولأول مرة منذ تاريخ الاحتلال على حق إنشاء الأحزاب السياسية والمشاركة في الانتخابات، وإصدار الصحف، مكاسب اختارت فرنسا زمن منحها للجزائريين بعناية وذلك استعدادا لاحتفالها بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر التي تصادف سنة 1930، وهي الذكرى التي كانت ترمي من خلالها إلى رسم صورة الجزائر الفرنسية المتحضرة موهمة الشعب بأنه يجني الثمار الطيبة لاحتلال فرنسا لبلاده، والتي كانت في حقيقتها مكاسب رمزية وحريات واهية الهدف منها تبرير عمليات الاغتصاب المستمر لكل ما هو جزائري، غير أن انتعاش الحركة الأدبية كانت من أبرز نتائجها وهي الحسنة الوحيدة لها.

فبالإضافة إلى روايتي " **القايد بن الشريف**" **و** " **عبد القادر حمو**" المذكورتين سابقا، نذكر رواية مأمون بدايات مثل أعلى Mammoun leébauche d'un idéal " لـــ " شكري خوجة" الصادرة سنة 1928 ورواية " العاج أسير برؤوسنا" " CL euldj, captif, des barbaresques" سنة 1929 للمؤلف نفسه.

يضفي الباحثون والنقاد صفة الخضوع على كتابات هذه الفترة، بمعنى أنهم كانوا ضحية للإدارة الفرنسية وذلك بدا جليا من خلال كتاباتهم وذلك راجع إلى تشبعهم بالثقافة

1 - أحمد منور، المرجع السابق، ص 74.

الفرنسية وشعورهم بالامتنان الكبير اتجاه فرنسا، فراحوا يكتبون لجزائر فرنسية تنعم بالسلام ومثالنا في ذلك رواية **بولنوار الجزائري الشاب** " Bou- el nouar, le jeune algérienne" لصاحبها " **رابح زخاتي**" الذي كتب أن: " **من حظ كل الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر والأكثر حضارة هي المعلمة فمعها تمكن الجزائري من أن يخطوا خطوات عملاقة**"[1]، ويحذو حذوه شكري خوجة عندما يتساءل مأمون البطل قائلا: " **تملك فرنسا حقوقا علي، وأنا أشعر برغبة غامضة أن أقدم شيئا يفيدها... وأنا العربي لي هدف وهذا رائع أن أجده، هي فكرة الوطن التي بدأت تتفتح بداخلي**"[2]، وهو مقطع يوضح اقتناع بعض الجزائريين بفكرة الاندماج.

على الرغم من كون هذه الروايات لم تتصدى للواقع المرير الذي عايشه الجزائريون إلا أنها تمكنت من تسليط الضوء على " كبعض الآثار السلبية التي انتشرت في المجتمع نتيجة الاحتكاك بالثقافة الدخيلة منها، الإدمان على الخمر لعب القمار، الظاهرتان اللتان عالجتهما تبعا روايتي زهرة امرأة المنجمي " Zahra, la femme du mineur" و رواية مأمون بدايات مثل أعلى " Maamoun l'ébouche d'un idéal"[3].

أما الروايات التي صدرت لاحقا فقد اهتمت بتصوير انتماء الجزائريين الذين شتتهم الاستعمار بين قيم الوطن (العروبة، الإسلام، الأمازيغية) من جهة والقيم الفرنسية الدخيلة التي فرضتها عليهم من جهة أخرى، ومن بين هذه الروايات نذكر " **مريم بين النخيل Myriem dans le palmes**" سنة 1934 لمؤلفها "**محمد ولد الشيخ**"، " **بولنوار الجزائري الشاب**" **لرابح زناتي** وكذا رواية " **ليلى فتاة جزائرية leila jeane fille algérie**" "**لجميلة دباش**"[4]، كلها روايات تدور في فلك البحث عن الذات، وتتأرجح شخصيتها بين كون المرء جزائريا وما يوازيه من انتماء وكونه تابعا للإدارة الفرنسية، وما ينجر عنه من التزامات.

1 - أم الخير جبور، المرجع السابق، ص 37.

2 - المرجع نفسه، ص 38.

3 - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، المرجع السابق، ص 98.

4 - المرجع نفسه، ص 98.

وقد تمظهر البحث عن الذات في الرواية من خلال ما دعت إليه القوى السياسية التي واكبت تلك الفترة ونذكر منها شخصية " فرحات عباس" السياسي الذي مثل الاتجاه الاندماجي و نادى بالمساواة في الحقوق والواجبات بين الجزائريين والفرنسيين الذين طالما اصطدموا بالهوية العميقة التي فصلت بين الثقافتين والنظرة المتبادلة التي لم تتغير فقد نظر الجزائري للفرنسي نظرة الغربي الأجنبي ونظر الفرنسي بدوره للجزائري نظرة احتقار ودونية، ومن الآباء الذين ساندوا فكرة الاندماج والتعايش بين الأهالي والأوروبيين، مولود فرعون من خلال روايته" ابن الفقير" التي كانت إلى السيرة الذاتية أقرب منها إلى الرواية وذلك من خلال تصويره لواقع الإنسان في بلاد القبائل، وكيف يمكن الاحتكاك بالأوروبي أن يغير حياته سواء كان الاحتكاك عن طريق الهجرة إلى فرنسا أو الاختلاط بهم في المعاهد ودور التعليم.

تلك هي السمات الغالبة على الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية منذ البدايات والتي ما لبث أن اعتراها التغيير تماشيا مع ما فرضته الأحداث العالمية كانتهاء الحرب العالمية ومجازر 08 ماي 1945 التي تمكنت من تغيير قناعات صناع الرواية وتوجيه دفتها نحو كتابة ذات شكل مغاير.

**ب- الأدب الكولونيالي الثوري:**

تأثرت الجزائر بما تمخضت عن الحرب العالمية الثانية باعتبارها مستعمرة لإحدى الدول التي دارت رحى الحرب على جزء من أراضيها وشاركت فيها بقواتها حتى خارج حدود أراضيها، وقياسا على كون الأدب مرآة الحس النفسي والشعور بالحاجة إلى الأنعتاق وإمكانية تحقيق ذلك فيقول: " خلال الحرب العالمية الثانية أشياء شاركنا فيها نحن الجزائريون فشعرنا على إثرها بتهيب وابتهاج أي خروجنا من المأزق ممكن، وخرجنا من ذلك المأزق بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع"[1]، أي الكتابة ساهمت في عملية التحرير.

1 - عايدة أديب يامينة، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 25.

لقد زرع التوجه الروائي الجديد الذي قاده " **محمد ديب**" الدهشة تفي الأوساط الفرنسية التي اعتبرت أن التلميذ تعلم الدرس جيدا أو فهمه وهو الآن ينتفض ضد معلمه، فقد اتخذ ديب من الفرنسية التي أرادها أن تكون بديلا له عن لغته سلاحا يميط به اللثام عن حقيقة الظلم والعدوان الذي يفرض له الشعب الجزائري، وبهذا سمي هذا التيار بأدب المقاومة"[1]، مما جلب له استنكار اليمينيين واحتفاء اليساريين واعتبروه تأصيلا واضحا للغة الفرنسية، حتى أضحت صوت الشعب ومنقذه، وقد تجلى ذلك من خلال قيام دور النشر الفرنسية بإصدار هذه الروايات وتبنيها أدبيا وثقافيا حتى تحصلت على أعلى نسبة قراءة من قبل المثقفين الفرنسيين في تلك الحقبة لتحذو العديد من الروايات حذوها نذكر منها رواية " **نوم العادل La sommeil du juste**" لمؤلفها **مولود معمري** الصادرة سنة 1955 والتي ينقل لنا فيها حالة البؤس والحرمان التي عاشتها القرى والمداشر القبائلية ورواية " **نجمة**" "**Nedjma**" لمؤلفها كاتب ياسين الصادرة سنة 1956م والتي تناول فيها الروائي كافة مظاهر الاستغلال والظلم الذي مارسه المعمرون على أبناء الأرض الجزائرية، أضف إلى ذلك تصويره لمذابح الثامن ماي 1945 التي قمع فيها المستعمر المتظاهرين من أجل نيل الحرية والعدالة بوحشية واعتبرت نوعا من الكتابة التي تسبق الثورات وتخطط لها.

قدمت هذه الروايات صورة واضحة للموضع الذي آلت إليه الجزائر في تلك الحقبة وأعطت مفهوما جديدا للدفاع عن الحرية المنتزعة والذي جرى في ساحات المعارك التي شملت كل مناطق الوطن، ولم يتوان الكتاب عن مواكبة الحدث من خلال تصوير وقائع الثورة المسلحة مع تقديم نماذج من صور المقاومة الشعبية التي كان أبطالها من أبناء الجزائر وكذا خلدت تضحيات الشعب وكشفت عن أبشع صور التعذيب والاعتقال والقتل والتهجير التي تعرض لها ومن ذلك رواية " **الانطباع الأخير La dernière impression**" الصادرة سنة 1958م وكذا **التلميذ والدرس L'élève et le cor**" الصادرة

1 - عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988، ص 39.

سنة 1960م و "**رصيف الأزهار لا يجيب Le quai aux fleur ne réponde plus**" الصادرة سنة 1961م وكلها لمؤلفها مالك حداد، ورواية " **ضيف إفريقي Unété Africain**" لـــ محمد ديب الصادرة عام 1969م.[1]

**ج- رواية ما بعد الاستقلال (رواية ما بعد الكولونيالية):**

لم يكن الاستقلال نهاية للأدب النضالي، فالأدب يتلون بحسب حالات السلم والحرب فلم تتمكن الأعمال الأدبية المنتجة في هذه الفترة من التخلص من الحديث عن الثورة، فقد ظلت الروايات تعالج الثورة وقضاياها وتصور مآسيها وتؤرخ لفترة زمنية حرجة غيرت ملامح الشعب الجزائري للأبد، وقد وصف هذا الاتجاه بانحيازه للثورة وتأثره بها، ونذكر من هذه الروايات التي صدرت في فترة الستينات " **روافد أطفال العالم الجديد Les enfants du nouveau monde**" الصادرة عام 1962م للروائية آسيا جبار، ورواية " **الأفيون والعصا L'opium et le bâton**" الصادرة عام 1965م لمولود معمري.[2] ورواية " **أصابع النهار Les cinq doigts du jour**" **1967م** لـــ حسين بوزاهر وأيضا رواية " **أسلاك الحياة الشائكة Les barbettes de l'existence**".[3] الصادرة عام 1962م لصالح فلاح، وقد ساهمت هذه الروايات في تعميق الشعور بالوعي الوطني والأشاذة بأمجاد الثورة وتضحيات الشعب.

ولعل أهم ما يميز فترة بداية الستينيات غياب مالك حداد عن الساحة الأدبية غيابا أراد به أن ينأى بنفسه عن تيار الكتابة باللغة الفرنسية التي استعان بها لمحاربة المستعمر ولم يعد هذا السبب قائما بعد أن نالت الجزائر استقلالها، وكان اختيار الكتاب الجزائريين العيش خارج الجزائر بعد سنة 1965 التي شهدت الانقلاب وكان اختيار الكتاب الجزائريين العيش خارج الجزائر بعد سنة 1965 التي شهدت الانقلاب العسكري الذي قاده " هواري بومدين" على نظام الرئيس بن بلة، بحجة عدم توفر المناخ الديمقراطي للتعبير بحرية عن آرائهم.

1 - سامية إدريس: الرواية الجزائرية الحديثة بين الهوية الثقافية والهوية السردية، ص 117.

2 - نفس المرجع، ص 117.

3 - ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 111.

وقد عرف أدب هذه الفترة المنشور في فرنسا" بأدب النزعة الاجتماعية والسياسية" حيث نددوا بتحول الحكم على يد العسكر عن أهداف الثورة ومسارها النضالي، وانتقدوا الأوضاع الاجتماعية السيئة التي يعيشها الشعب ونذكر من هذه الروايات روايتي " **رقصة الملك La danse du roi**" **1968** " **و** " **إله أرض البربر Dieu en Barbarie**" **1970 لمحمد ديب، وروايتي** " **التطليق La Répudiation 1969** " **وضربة حظ L'insolatiopn** " **1970 لـــ رشيد بوجدرة،** وقد سعد هذا الأدب إلى توجيه الجماهير إلى واقع أدبي أفضل لمسايرة الثورة الاشتراكية"[1]، من أجل إنقاذ الأمة من كل ما ورثته عن الاستعمار من تخلف وجهل وبؤس.

وقد استمر هذا التوجه طيلة فترة نهاية الستينات والسبعينات حمل فيه الأدباء مسؤولية وصور مخلفات الحقبة الاستعمارية التي انعكست سلبا على المجتمع، وانتقاد الأوضاع الاجتماعية القاسية التي يتخبط فيها الفرد الجزائري لتظهر موضوعات أخرى تجسدت من خلالها شخصيات روائية تعاني أزمة الانتماء من خلال روايات "**ذاكرة الغائب**" 1974 ورواية " **المنفى والجيزة**" **لنبيل فارس** أو لمعالجة قضية الهوية الأمازيغية من خلال رواية **الطاهر جاووت** " **الباحثون عن العظام، رواية العبور 1982 لمولود معمري**".

ويجب عدم إغفال تلك الروايات التي ظلت على نسقها الأول، فقد شهدت سنة 1948 صدور روايتين الأولى بعنوان: " **إدريس**" **لعلي الحمامي** والثانية بعنوان: " **لبيك اللهم لبيك حج الفقراء**" **لمالك بن نبي،** وعند الرجوع إلى الخلفية الفكرية لكل منهما، نجد أن " الحمامي" كان أحد الكتاب الذين عرفوا بنضالهم الطويل ضد الاستعمار، أما " مالك بن نبي" فهو مفكر إسلامي أخذ على عاتقه مهمة الإصلاح والإرشاد ونقد الآفات التي انتشرت داخل المجتمع الجزائري مع تقديم الحلول لها، ولعل أبرز ما دعا إليه بن نبي هي العودة إلى القيم الأخلاقية الأصلية والتشبث بالعقيدة الإسلامية السمحاء من أجل التحرر.

شكلت هذه الروايات الدعامة الأساسية لاتجاه جديد شق طريقه داخل الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، فقد لوحظ تطور في نوعية المضامين التي حملتها الروايات، هذه الأخيرة التي حملت مسؤولية تصوير الواقع البائس والحرمان الذي يعيشه الجزائري

1 - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، المرجع السابق، ص 121.

وتسليط الضوء على الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي، ولعل من بين أهم الروايات التي شكلت منعطفا حاسما في تاريخ الرواية الجزائرية التي تجاوزت الصورة النمطية المقدمة سابقا عن العلاقة المثالية بين الإدارة الاستعمارية والأهالي لتغوص في واقع الشعب الذي كابد القهر لفترة طويلة منها: " **رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب** 1952" التي قام فيها بوصف ما يعيشه الشعب تحت وطأة الاستعمار من بؤس وجوع، وكشف النقاب عن فئة جديدة تعرف بالمناضلين الذين يعيشون بين أفراد الطبقات الدنيا من الشعب وينشطون في الخفاء، والحال ذاته بالنسبة لما جاء بعدها من روايات لنفس الكاتب خاصة روايتي "**الحريق**" الصادرة عام 1954 و "**النول**" 1957 وهما امتداد للأولى في كونهما يعبران عن معاناة فئات أخرى من الشعب تمثل العمال الحرفيين داخل المدن والفلاحين المستعبدين من طرف المعمرين في الأرياف، إذن مهما اختلفت المهن والأماكن إلا أن الوضع المزري طال الكل دون استثناء.

أما الروايات التي صدرت في فترة السبعينات والثمانينات فمنها من لم تبرح موضوع الثورة والتحرر، ومنها من حملت على عاتقها تسليط الضوء على الأوضاع السياسية والاجتماعية بغرض تحسين الواقع المعيشي ورصد نبض الشارع، بالإضافة إلى موضوع السيرة الذاتية الذي ظل حاضرا على الدوام في الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.[1]

**د- الأدب الاستعجالي: رواية الأزمة المكتوبة باللغة الفرنسية.**

الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية الصادرة أواخر السبعينات والثمانينات من القرن الماضي تحملت مسؤولية محاربة الظواهر التي شوهت المجتمع حينها مثل الانتهازية، الرشوة الجهوية، وغيرها وطغت عليها مسحة أيديولوجية دافع فيها كل روائي عن توجهاته ومبادئه وآرائه، أما في فترة التسعينات، فقد طغى الخطاب السياسي على أغلب الإبداعات الروائية، لتتحول الرواية إلى ساحة تتصارع فيها مختلف التيارات التي ظهر تأثيرها جليا على فئات المجتمع وقد جسدت الأوضاع التي آلت إليها الجزائر.

ففي الخامس من شهر أكتوبر 1988 تظاهر الجزائريون تنديدا بظروف العيش المتدنية والبطالة واللا مساواة التي رسختها سياسة الحزب الواحد وتسبب الأزمة المالية

1 - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي،المرجع السابق، ص ص 121-123.

العالمية التي أضرت باقتصاد دول العالم في تلك الحقبة، حيث طالب المتظاهرون بتحسين الأوضاع المعيشية، ودفع عجلة التنمية إلى الأمام ورفعوا شعارات تطالب بالتغيير وهو الأمر الذي تحقق مع صدور دستور 23 فيفري 1989 الذي فتح مجال التعددية الحزبية بعدما اهتزت المشروعية التاريخية للحزب الحاكم نتيجة اتساع الهوة بين السلطة والمجتمع وعجزها عن تلبية متطلباته، فنظمت على إثرها انتخابات المجالس الشعبية التي اكتسحتها الأحزاب المحسوبة على التيار الإسلامي، وواصلت هذه الأخيرة صعودها إلى أن حصدت أعلى نسبة في الانتخابات التشريعية، انتخابات فازت بها تلك الأحزاب غير أنه تم إلغائها ليتصاعد المد الإسلامي محاولا استعادة مكانته المسلوبة مدفوعا برغبة جامحة في الانتقام من السلطات التي كبحت زحفه نحو الحكم.

فساد جو من العصيان المدني وعمت الاضطرابات كامل أرجاء الوطن، وفي صيف 1991م أعلنت على إثرها الدولة حالة الطوارئ التي أخضعت البلاد للحكم العسكري وسقطت الحكومة الثانية التي تأسست عام 1988 ليستقيل بعدها الرئيس في شهر جانفي 1992م ويغتال من ناب عنه وهو رئيس المجلس الأعلى للدولة" محمد بوضياف" في جوان 1992م، أحداث حولت العنف السياسي إلى عنف دموي استمر عشرية كاملة.

ويأتي في مقدمة الأعمال الإبداعية الروائية التي واكبت الأحداث وصورت الواقع روايات " **رشيد ميموني**" الذي توفي إثر إصابته بمرض السرطان، والذي نبش قبره وأخرجت **رفاته** " **شرف القبيلة**" **ورواية** " **حزام السفلة**" **1990م**، ورواية " **حزن العيش**" **1993م** التي صورت اعتصام الإسلاميين في ساحة أول ماي سنة 1991م واستيلائهم على قسم الاستعجالات في مصطفى باشا بعد مواجهات مع قوات الأمن، ولعل هذا هو السبب الذي جعل هذه الروايات الأخرى تحمل اسم رواية الأزمة أو رواية المحنة أو الأدب الاستعجالي بشكل عام.[1]

ولعل السبب الرئيسي في هذه التسمية للروايات التي عالجت محنة الوطن وصورت العراك السياسي والاقتتال الدموي الذي عرفته مرحلة التسعينات هو أن الكثير من الروائيين سقط في نوع من التسرع و التسجيلية وانساقوا وراء الأحداث المهولة والمتسارعة، فجاءت أعمالهم أقرب إلى التصوير الفوتوغرافي والتحقيقات الصحفية منها

1 - سامية إدريس: الرواية الجزائرية بين الهوية الثقافية والهوية السردية، مرجع سابق، ص 117.

إلى الكتابة الفنية الراقية وسميت **برواية الأزمة** لأنها عكست الواقع المتأزم وعايشت الأزمة التي مرت بها البلاد على مدى عشرية كاملة، كما أنها شخصت منابع الداء ووصفت الأهوال التي عصفت بالشعب وزعزعت أمن الدولة واستقرارها، فكان هذا الأدب صوت الشارع الذي غرق في برك الدماء كتبه المثقف لينقل معاناة من لا تسمع أصواتهم، ليستهدف هو من طرف الجماعات المسلحة التي أبت إلا أن تحصد أرواح الجزائريين.

غير أنه لا يمكن أن ننكر أنه كان ثمة العديد من الروائيين الذين تمكنوا من إنتاج نصوص روائية تحمل تجربة عميقة ولصيقة بالفاجعة التي ألمت بالوطن، وعالجت موضوعات مهمة ومعقدة مثل الحياة والموت والانتماء والوطنية، وقد اختلفت معالجتهم لتلك الموضوعات بحس قناعاتهم، كما أنهم أرخوا لإنسان جديد يختلف عن الثائر المناضل خلال ثورة التحرير، أو العامل المقهور لدى المستعمر أو الفلاح الجزائري أيام الثورة الزراعية أو حتى المناضل الحزبي أيام الحراك الاشتراكي، إنه إنسان جديد يقف في مواجهة تناقضاته ذا وعي متنامي تمكنه من الإجابة على الأسئلة المرتبطة بالوجود والحياة قياسا بحجم الزمن زمن المحنة المعاشة.

تمتد الرواية عبر الزمن لتستوفي قصصها، محولة التجارب الواقعية إلى تجارب إبداعية يمتزج فيها الخيال والفنية، غير أن ما حدث في الجزائر خلال العشرية السوداء لم يكن ليغري الكتاب بالكتابة بقدر ما كان يجبرهم عليها، لأنها أصبحت الملاذ الوحيد والآمن لهم ليعبروا عن آلامهم وآلام مجتمعهم محاولين البحث عن الحقيقة وفهم الواقع وفق رؤى متعددة وصلت في بعض الأحيان حد التناقض واهتمام الرواية التسعينية إن جاز القول بهموم المجتمع والأهوال التي تنهكه دليل قاطع على وحدة التجربة.

الرواية السوداء أو الرواية **الصحفية** " **هي التسمية التي وردت من فرنسا، أين كان الاهتمام برواية المحنة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية خاصة سلسلة روايات " ياسمينة خضرا**"، فقد جاءت معبرة عن الأزمة بكل أبعادها من خلال فعل المواكبة للأحداث الذي اتصفت به أعمال الرواية.[1]

1 - زهرة ديك: ياسمينة خضرا، هكذا تكلم، دار الهدى، ط1، 2013، ص 111.

## 02- هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية:

شكل الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية خلافا بقي قائما إلى اليوم حول هويته هل ننسبه إلى الأدب الجزائري؟ أم نعتبره من الأدب الفرنسي؟ أم هو بين هذا وذاك؟ أم هو لا من هذا ولا من ذاك؟، وقبل التطرق إلى كل ذلك لا بأس أن نشير في البداية إلى مفهوم الهوية لغة واصطلاحا.

### أ- مفهوم الهوية:

#### - مفهوم الهوية في اللغة:

اختلف الباحثون والدارسون في شتى المجالات الأدبية والفلسفية والاجتماعية والتاريخية والمعرفية وحتى السياسية في مسألة الهوية خاصة من ناحية ضبط المصطلح، بالإضافة إلى التساؤلات التي طرحت حول أصلها وماهيتها، ومع ذلك بقي هذا المصطلح في أمس الحاجة إلى التنوع والتجديد، خاصة من حيث المعنى.

تخلوا المعاجم العربية مثل لسان العرب والقاموس المحيط والمصباح المنير من هذا المصطلح بمعناه الحديث، ولا يعدو الشرح فيها أن تكون الهوية من الفعل الثلاثي " هوى" بالفتح يهوي هويا وهُويا وهويانا، وانهوى سقط من فوق إلى أسفل، وأهواه هو يقال: أهويته إذا ألقيته من فوق هوية تصغير هوّة وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة...، وقيل الهوة الحفرة البعيدة القعر وهي المهواة"[1]، فالهوية لا تتجاوز معنى السقوط و النزول من الأعلى إلى الأسفل، أو البئر البعيدة القعر، فعندما نقول: الهاوية هوّة نقصد بها الفجوة.

ولعل الشريف الجرجاني يوضح معناها أكثر فيقول: " الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، والهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذت حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء".[2] إنها الصفة الثابتة في الذات التي لا تتبدل ولا تتأثر، والهوية ما يبدو لنا من الموجودات في

---

1 - ابن منظور ، لسان العرب، مادة (هـ - و- ي)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1990، ص ص 4727- 4729.

2 - الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1998، ص ص 137-138.

الأرض للتعبير عن الحقيقة المطلقة الراسخة في الذات الإنسانية، كما تأخذ معنى المرجع والمنبع لتعدد الهوية في الأصل والجوهر، فالهوية من هو بمعنى جوهر الشيء وحقيقته، وبالتالي فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد وتتغير، تفصح عن ذاتها ما بقيت الذات على قيد " الحياة"[1]، فهي مبدأ متجذر في الذات و ثابت فيها طول عمرها.

كما أن الهوية كلمة مترجمة identité اشتقها المترجمون للدلالة على كون الشيء هو نفسه ومع ذلك فرضت نفسها مقابل كلمة الماهية، " وتستعمل كلمة الهوية من حيث الدلالة اللغوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى الكلمة الفرنسية identité التي تعبر عن خاصية مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقته لمثله، والهوية في الأصل اسم غير عربي وإنما اضطر بعض المترجمين فاشتق من حرف الرباط، أني الذي يدل على العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وحرف هو، وتعرف في الفرنسية بـــ identité وفي الإنجليزية identity وفي اللاتينية identitas".[2]

فالهوية هي مجموعة المكونات التي تجعل الشخص مميزا[3]وبهذا فإن المفهوم اللغوي للهوية يتخذ معان عدة، فهي تشير إلى وحدة الذات، أي مطابقة النفس والخصوصية بمعنى التفرد والامتياز عن الآخرين، كذلك تتخذ معنى جوهر الشيء ومنيته وأصله ومرجعيته، كما تحمل معاني المماثلة، والتجانس.

- **الهوية اصطلاحا**:

عند البحث عن الهوية في المفهوم الاصطلاحي نصطدم بمعرفة أنها تجمع متناقضات عدة بين ما هو محسوس وما هو مجرد، إنها واحد يعبر عن الأنا، متعدد يمثل الجماعة تمتلك قدرة فائقة في التوفيق بين المتماثلات والمختلفات، وهي أساس في الذات كونها" ما يصمد من الإنسان عبر الزمن إذ تلازمه مكونة شخصية و محددة معالمه بشكل

1 - سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 1430هـــ/ 2009م، ص 20.

*2 - jeruvan, sabek: dictionnaire el thilitngue anglais français arabe, maison sabek, paris, p 556.*

3- صفاء شريط وأمال مبروك: إشكالية الهوية والاغتراب في رواية ساق البامبو لسعود السنوسي، مذكرة ماستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2017

ثابت، ما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين..."[1]، أي إحساس الأنا بنفسها وبالتفرد بخصائص مميزة عن غيرها من بني البشر التي لا تنتهي إلا بنهايتها.

كما " يمكن للمرء أن ينظر للهوية على أنها مجموع سماته المميزة والدائمة التي تميزه بوصفه مخلوقا لا تخطئه العين، والهوية هي ما يمكن للإنسان أن يصف به الآخرين... إلا أن الهوية هي أيضا ما أصف فيه نفسي عندما أتأمل ذاتي بصورة مكثفة وأشكل صورة ذاتي".[2]

ولأن مفهوم الهوية يشير إلى جملة الصفات الجسدية الظاهرة في الإنسان التي تميزه بين أقرانه، وبذلك الهوية تجعلنا نعلم الشخص استنادا على مميزاته الثابتة والخاصة به وحده دون سواه، بها يعرف ماهيته وأصله ليكون هو نفسه.

تعبر الهوية عن "تشابه الموجود في خاصية أو مجموعة من الخصائص المميزة عن بقية الأفراد، وبالتالي فإن الهوية بهذا المعنى يمكن أن تبدأ من الأخص، وتصعد من الأعم أو تنزل من الأعم"[3]، إذن هذه المتماثلات والصفات المتجانسة هي التي توحد الأفراد وتكسيهم هوية واحدة قد تتسع أو تضيق حسب إحساس الذات المفردة بانتمائها إلى الجماعة.

وهناك من يرى أن الهوية فيض متجدد لا يمنعه ثبات نواته من إمكانية التفاعل مع الواقع المتغير، إن الهوية السردية ليست هوية ثابتة، وذلك لاتساعها شمولا وفيضا بفعل تجارب الذات اليومية، وبذلك تظل الهوية مشروعا يطلب دوما التأسيس، وليس هناك نقطة يكتمل عندها إنجاز، كما أن تحقيقها على نحو تام ليس ممكنا"[4]، فهي تحمل في طياتها أمرا ذاتيا وموضوعيا في آن واحد، تنطوي على أبعاد نرجسية من جهة وعلى

1 - ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2013، ص 15.

2 - بيتر كوزان: البحث عن الهوية وتشتتها في حياة إيريك ايركسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، العين،الإمارات العربية المتحدة، د ط، 2010، ص 93

3 - محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2003، ص 107.

4 - بول ريكور: الهوية والسرد، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت- لبنان، د ط، 2009، ص ص 30-31.

أسس جماعية من جهة أخرى، إنها تتجدد باستمرار تتقاسم مع الذات أزمتها ومشاكلها التي تعانيها، وتسعى لتخطيها لتصل إلى خصوصية معتدلة متزنة.

تسعى الذات إلى الحفاظ على هويتها وهي ليست بالكيان الذي يعطى دفعة واحدة، إنما هي حقيقة تنمو وتعيش فيها طول حياتها، وعلى أساس من ذلك" لا تكون الهوية كاملة أبدا وهي ليست شيئا تدركه الحواس، إنما هي صيرورة غير منتظمة، إنها قيد البناء على نحو دائم وهذا يعني أنها لا تتمتع بأي استقرار".[1]

فالهوية مفهوم معنوي مجرد أكثر منه حسي ملموس مجسد، وربما تجمع بين الأمرين، هي لا تتوقف عن اتخاذ مفاهيم متنوعة وجامعة بين الحدود المتناقضة التي يمكن لنا من اتخاذ موقف تجاهها أو الخروج بحكم عليها.

**ب- القائلون بقومية الأدب:**

إن أصحاب هذا الرأي يرون أن عامل اللغة لا يمكن أن يعتمد كمعيار لتحديد هوية النص، فمادام النص الروائي يعبر بصدق عن واقع المجتمع الجزائري ويصور بإخلاص حالة هذا المجتمع في ظل الاستعمار الفرنسي، كما فعل محمد ديب في ثلاثيته، حيث صور حالة البؤس والحرمان التي يعيشها سكان دار سبيطار، وسكان جبل "بني بوبلان" كما صور حالة العمال المناضلين الذين يقودهم حميد سراج لتحقيق المطالب المشروعة للشعب الجزائري، وكما يصور ثقافة هذا البلد وتقاليده التي تختلف تماما عن ثقافة فرنسا الاستعمارية وعادات شعبها وتقاليده، مثلما فعل مولود فرعون في " ابن الفقير" ومولود معمري في " الربوة المنسية" وغيرهما، وما دام الأمر كذلك فهو أدب جزائري.

فالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إذا نظرنا إليه من زاوية المضمون فإننا نجده مرتبطا ارتباطا كليا بتاريخ الجزائر، وبالذات بالمقاومة الوطنية، وبكفاح الشعب الجزائري ضد العدو الأجنبي، فهو أدب تشكل لمناهضة الاستعمار وللدفاع عن الثوابت الوطنية، وعن المقومات الشخصية للأمة الجزائرية، حفاظا على الهوية من الانسلاخ والضياع، فليس من العدل ولا من المنطق أن نعتبر الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أدبا فرنسيا،

1 - نهال مهيدان: الآخر في الرواية النسوية العربية (في خطاب المرأة والجسد والثقافة)، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص 110.

كون " أدباء الجزائر استخدموا الفرنسية كسلاح لمواجهة الاستعمار"[1] لأن هذا الاستعمار لا يفهم سوى اللغة الفرنسية من جهة ومن جهة أخرى ليوصلوا انشغالاتهم إلى كل العالم.

ولعل هذا ما عبر عنه " كاتب ياسين" حيث يقول:" ... من يقاتل لا يسأل نفسه ليعرف إن كانت البندقية التي يستعملها فرنسية أم ألمانية أو تشيكية، وإنما بندقية وهي سلاحه وهي لا تخدم إلا معركته (...) إن الفرنسية ليست سوى أداة لتوصيل أفكارنا إلى المثقفين في العالم لنجذب به المفكرين الأحرار لنصرة قضية جزائرنا العربية..."[2].

أصحاب هذا الرأي يرون بأن هذا الأدب يجب أن ينظر إليه على أساس " الروح الجزائرية التي كتب بها"[3]لا على أساس اللغة.

فاللغة ليست هي المكون الثقافي الوحيد وربما ليست حتى الأهم[4]مقارنة بالمكونات الأخرى التي يتشكل منها النص الروائي كالفضاء الزماني والمكاني والأجواء والأشخاص ... وغيرها فهذه العناصر تعد بمثابة مكونات ثقافية، فيقوم الثامن من مايو عام 1945 في " رصيف الأزهار لا يجيب" لـــ " مالك حداد" ذا بعد ثقافي جزائري خاص، وكذلك " وريدة" و " قسنطينة" ... الخ، وبالتالي فهذه العناصر مجتمعة (المكان، الزمان، الشخوص...)، لا أعتقد أنها أقل ارتباطا بهوية النص من اللغة، واللغة في هذه الحالة ليست سوى أداة استعيرت للتعبير الأكثر إفهاما للآخر.

كما تعد الأحسن ترجمة للأنا وهذا ما عبر عنه مولود فرعون حين قال: " يجب أن لا نبكي ونشعر بالضياع لأن نكتب باللغة الفرنسية، فأنا شخصيا إذا كتبت باللغة الفرنسية فإني لا أشعر بأية عقدة نقص فالكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما يقوم بعملية ترجمة لعواطفه وأفكاره هو".[5] فلا داعي للقلق إذن فما اللغة إلا وسيلة تعبير كما يرى

---

[1] - عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، 1991، ص 157.

2 - عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 157.

3 - أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، المرجع السابق، ص 162.

4 - إبراهيم سعدي: الرواية الفرنكفونية، بوصفها نصا متعدد الثقافات، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال اليوم الدراسي (الرواية بين ضفتي المتوسط)، الجزائر، 2011، ص68.

5 - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، المرجع سابق، ص ص 163- 164.

كاتب ياسين، الذي يعتبر الثقافة الفرنسية لا يمكن لها إلا أن تؤجج فينا الظمأ إلى الحرية والأصالة[1]، فهي عنده أداة للتحرر والانعتاق من سلطة الآخر.

فاستعمال اللغة الفرنسية لا ينقص من قيمة هذا الأدب ومن جزائريته فهو يظل جزائريا ما دام يحمل روحا عربية، وهما جزائريا ونزعة ثورية، لأن جزائرنا كما يقول كاتب ياسين: " ليست فردا بعينه أو شخصا بالذات، إنما هي فكرة ومعنى ومعنى، أو هي قيمة ومثال، وهي أولا وأخيرا عربية".[2] فالمتمعن في كلام كاتب ياسين يدرك بأن الأدباء الجزائريين الذين كتبوا باللغة الفرنسية لم يختاروها وإنما أجبروا على الكتابة بها، لأن فرنسا أرادت أن تنتزع منهم أداة التعبير باللغة الأم، وأن تضع بين أيديهم أداة أخرى هي اللغة الفرنسية لا حيلة لهم في الأعراض عنها إذا أرادوا أن تدور ألسنتهم بكلام، أو أن تجري أقلامهم بكتابة[3]، وعليه فلا داعي للتشكيك في هوية هذا الأدب الجزائري وفي ارتباط أصحابه بالهوية الأصلية.

**جـــ- القائلون بأنه أدب فرنسي:**

هذه الفئة من الباحثين تقف في الصف المعارض، حيث ينفون انتماء الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية إلى الهوية الجزائرية، كون اللغة التي كتبت بها ليست بلغة وطنية فهو ليس من الجزائري في شيء، ولن يكون جزائريا، فهذا الاتجاه يدعو إلى عدم إغفال العامل اللغوي في تحقيق فعل الانتماء لذلك يرى أنه ليس ممكنا اعتبارا رواياتهم (أي كتاب) باللغة الفرنسية جزء من التراث الثقافي العربي (...) ويستند أصحابه في ذلك إلى وجهة نظر مدرسة الأدب المقارن نفسها التي تلحق الأدب- مهما كانت جنسية كاتبه- بالأمة التي تتكلم اللغة التي كتب بها ذلك الأدب، وتعده من أدبها".[4]

1 - نفس المرجع، ص 164.

2 - عبد العزيز شريف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص 157.

3 - نوال بن صالح: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير، صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2011، ص ص 220-221.

4 - أحمد منور، المرجع السابق، ص 177.

وإذا تفحصنا هذا الأدب الذي كتبه أدباء جزائريون بلغة المستعمر، وخاصة الذي سبق سنة 1950 نجده في مجمله يعبر عن الأفكار التي كان يروج لها المستعمر الفرنسي ويعمل على ترسيخها داخل المجتمع الجزائري، فالكتابات الأولى من قبل " عبد القادر حاج حمو" ورابح زناتي" " ومحمد ولد الشيخ" وغيرهم كانت تمجد الاستعمار وتدعو إلى سياسة الإدماج، لأن هؤلاء الأدباء في الحقيقة هم نتاج المدرسة الفرنسية، وصرح أحد الدارسين الجزائريين قائلا: " إن هذا الأدب غريب في نفسه ومنفي عن موطنه الذي كتب فيه، ولم يستطع أن يلعب دورا كبيرا في نهضة الأدب المعاصر بالجزائر، فضلا عن أن يلعب دورا كبيرا خطيرا في إذكاء نار الثورة التي قيضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثقيلة"[1] وهو رأي ينفي جزائرية هذا الأدب.

فلو نظرنا إلى المستوى الثقافي للجزائريين في ذلك الوقت سنجد أكثر من ثمانين بالمائة منهم أميين لا يعرفون القراءة والكتابة، فما بالك بمعرفتهم بلغة أجنبية عليهم (الفرنسية) فالأدباء الجزائريون في ذلك الوقت كانوا يكتبون لمخاطبة الفرنسيين لا الجزائريين، وليتهم كانوا يخاطبونهم للمطالبة بحق الجزائريين في العيش الكريم وفي الحرية والعدالة، وإن كان خطابهم منصبا على البحث عن الرضا: وعن كسب الإعجاب من الفرنسيين، لهذا كانوا يكتبون فيبدعون.

ولعل ما يزيد تدعيمهم لنفي فكرة جزائرية هذا الأدب أن لغة الكتابة بالفرنسية من طرف الأدباء الجزائريين استمرت إلى ما بعد الاستعمار، بل إلى يومنا هذا ولم تتوقف رغم فقدان شرعيتها في نظر الكثيرين وعلى رأسهم مالك حداد الذي دعا إلى وجوب التوقف عن الكتابة بالفرنسية، طالما أنه لم يبقى هناك مبرر الكتابة بالفرنسية بعد الاستقلال"، ولذالك كانت نظرة الجزائريين للموجة الجديدة منم الكتاب نظرة احتقار حيث رأي بعضهم أن هؤلاء لا يمثلون المجتمع الجزائري، لأن لغتهم المستخدمة بعيد عن لغة

1 - عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ( 1925- 1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1983، ص 06.

المجتمع، أو لأن أعمالهم تنشر في فرنسا، أو لأنهم تلقوا جوائز وتكريمات من الخارج بل منهم من صار يحلم اليوم بجائزة نوبل للآداب.

**د- القائلون بأنه أدب بلا هوية:**

هذا الرأي يقف بين المتعارضين: الرأي القائل بجزائريته الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، والرأي القائل بفرنسيته، يقف اتجاه ثالث بينهما حيث يري بأن الكتاب الجزائري بالفرنسية لم يتمكنوا" من إرضاء جمهورهم الفرنسي ولا حتى الجزائري (...) مما جعل هؤلاء الكتاب يشعرون أنهم يقفون على الهامش في الضفة الأخرى بين المجتمع الفرنسي وكذا الجزائري"[1] ولذلك فهو أدب بلا هوية، حيث أنه لا يملك من الفرنسية، إلا اللغة التي كتب بها، فكيف للأدب في هذه الحالة أن ينقل مشاعره وأفكاره للمواطن الفرنسي الذي يملك ثقافة مغايرة تماما لثقافة الكاتب الجزائري، كما أن الأديب لا يستطيع إيصال أفكاره التي يعبر عنها بلغة الغير الى أهل بلده، الذين لا يتقنون هذه اللغة بحكم الجهل والأمية التي يعاني منها المجتمع الجزائري في تلك الفترة، بدليل أن نسبة المثقفين حينذاك لم تتعد الثمانية بالمائة(8%) وفي هذا المجال ترى "أم الخير جبور" أن الرواية المكتوبة بالفرنسية في المغرب العربي "لا تمثل التصورات بالفرنسية أو المفاهيم الجزائرية فهي أشبه بكائن مميز يجمع بين الشكل الفرنسي والمضمون الجزائري كما أشار الى ذلك الناقد عبد "المجيد حنون" الذي يشبه هذا الكائن بالمولود الاستثنائي يولد ويكبر ويساهم في الحياة لكنه لا يملك شبيها ولا يمكن التخلي عنه".[2]

وإسناد الى الآراء المتضاربة حول هوية هذا الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، والتي أسالت الكثير من الحبر من طرف النقاد في ميدان الأدب، يمكن أن نشير الى نقطة تثر الانتباه، ويمكن أن نعتبرها بيت القصيد في كل هذه الآراء المتضاربة، هذه النقطة هي التي جاءت بها الدكتورة " أم الخير جبور"، حيث تقول عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية "... كائن مميز يجمع بين الشكل الفرنسي والمضمون الجزائري، إذ لا

1 - أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، المرجع السابق، ص45.

2 - المرجع نفسه، ص46.

يمكن أن ننفي عن هذا الأدب جزائريته، بالنظر الى التصاقه بالواقع الجزائري بالثورة الوطنية العظمى"[1] فكتابات "مالك حداد ومولود فرعون ومحمد ديب" وغيرهم كانت أدوات من أدواة المقاومة استخدمها هؤلاء الأدباء للتعبير عن مأساة الشعب الجزائري، والدعوة الى الثورة والتطلع الى الحرية والاستقلال وخير مثالا على ذلك ما فعله "محمد ديب"في ثلاثيته حيث يعتبرها الكثيرون وعلى رأسهم " واسيني الأعرج" بمثابة نبوءة صادقة عن الثورة حتى قبل اندلاعها.[2]

وهذا من خلال رسم حالة البؤس التي يعيشها السكان "بني بوبلان" ودار سبيطار" وكذلك الكفاح والنضال الذي قاده حميد سراح بغرض توعية الجماهير وإيقاظ الوعي في نفوسهم، لخوض المعركة ضد الغزاة.

وكذلك فعل كاتب ياسين الذي استطاع أن يسمع صوت الجزائر الى العالم من خلال رائعته التي هي الجزائر في أسمى صور التحدي والبطولة والمقاومة وعليه فالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هو أدب فرنسي الشكل جزائري المضمون، وقد أكد ذلك أحمد منور في حوار أجرته معه جريدة الاتحاد حول هوية هذا الأدب، حيث قال: "هو إضافة للأدبين العربي الجزائري والفرنسي على السواء، أما هويته عربية بروح كتابها ومشاعرهم، وبالموضوعات التي تدور حول أعمالهم، بل حتى بأسلوب تعبيرهم الذي يستمدونه من لغتهم وثقافتهم الأصلية، هي من جهة أخرى هوية فرنسية بحكم اللغة التي كتب بها[3] أي أنه يجمع بين الأدبين.

1 - واسيني الاعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.ص68.

2 - واسيني الاعرج، المرجع السابق، ص69.

3 -أحمد منور: جريدة الاتحاد، 29 يونيو 2013Alitas .Ae/ detais.php .

# الفصل الثاني

## تمثلات الهوية في رواية
## فضل الليل على النهار

**أولا: اللغة**

**ثانيا: الدين.**

**ثالثا: العادات و التقاليد.**

## أولا: اللغة.

اللغة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق التواصل بين الأفراد و المجتمعات ولا يستطيع الإنسان التعبير عن مقاصده وأغراضه دون لغة، فهي أسس ومرتكزات أمة ومقومات هويتها، إذ للغة علاقة وطيدة بالهوية باعتبارها محددة للانتماء ومؤطرة للخصوصية الثقافية والإيديولوجية.

وإذا ما نظرنا جيدا نجد ّأنه لا يكاد يخلو مجتمع أو أمة ما في العالم من ظاهرة الازدواجية اللغوية، أو بتعبير آخر التعدد اللغوي، وذلك راجع لأسباب حضارية وتاريخية نحو مخلفات الاستعمار ومن بينها ذلك الأدب الجزائري الذي كتب باللغة الفرنسية، وأولئك الكتاب الجزائريون الذين اختاروا الكتابة بلغة الآخر، واعتبروها منفى لهم على حد تعبير مالك حداد.

إن الكاتب الجزائري إذا اختار لغة المستعمر لا يعني ذلك أن اللغة العربية لا توفي بالغرض، وإنما هو مدرك " ومؤمن بأن الكتابة باللغة الأم ستكون أصدق وأكثر قدرة على التعبير عن حقيقة أفكاره، وستكشف الكتابة بهذه اللغة ذاتها، من حيث هي جزء من معامل هوية المجتمع الجزائري " [1]

وإذا أردنا التاريخ و التأصيل للكتاب الفرنكفونيين الجزائريين و أردنا التساؤل عن الكاتب الجزائري الفرنكفوني فلا بد من طرح التساؤل الآتي:" من هو الكاتب الجزائري ؟ وما هي المعايير التي تكشف عن هوية الكاتب الجزائري " [2]، على حد ما طرحه الكاتب عبد المالك حداد.

إن هذه الإشكالية تجعلنا بين جانبين: جانب تاريخي وآخر جغرافي، وإذا ما أردنا تأكيد هوية كاتب ما فلا بد من النظر إلى الجانب التاريخي باعتبار التاريخ ذاكرة الفرد وعنوان الأمة، يحمل السمات الحضارية و الثقافية والإيديولوجية كما يحمل تراث وعادات وتقاليد أنتجها الأجداد " إن الكاتب هو نتاج التاريخ أكثر من نتاج الجغرافيا، فالجغرافيا

1 - بن علي لونيس، هكذا تكلم مالك حداد، ما معنى أن تكتب بلغة الآخر، مجلة مسارات مجلة فصلية تصدر عن مديرية الثقافة لولاية الجلفة، العدد 03، 2014، ص 44.

2 - المرجع نفسه، ص 45.

احتمال أما التاريخ فلا، إنني أرى أن كل هذا الغموض وهذه المعاناة في البحث عن تعاريف أنشأت مأساة اللغة وهذه المأساة تأتي في التعبير الفرنسي لكتابتنا "[1].

ولا بد من الاعتراف أن الكاتب إذا انقطع عن لغته انقطع عن ماضيه وتاريخه وأصالته، لكن الكاتب الجزائري صحيح أنه كتب بلغة الآخر لكن كتاباته كانت برمزية، و القارئ أو المتلقي يشعر بهويته من بين أسطر كتاباته و المقصود هنا الهوية العربية الإسلامية.

في رواية فضل الليل على النهار " للكاتب ياسمينة خضرا" أخذت اللغة حيزا كونها لا تنفصل عن الانتماء أو عدمه لإنسان بصفة عامة، وقد بين السارد ذلك في عدة مواطن من روايته " **لم ينزل العم صام قواته العسكرية فقط، بل جاء بثقافته أيضا: علب الجراية المعبأة بمزيج الحليب المركز، و الشوكولا، و الـــ cornedbeef و الشوينقوم، و الكوكا كولا، وسكريات كيندي و الجبن الأحمر، و السجائر الشقراء، تتدرب الحانات على موسيقى اليانكي، أما " الأولاد " ماسحوا الأحذية الذين تحولوا إلى بائعي الجرائد، فيركضون من ساحة عمومية إلى موقف التراموای وهم يصيحون Stars andstripes في لهجة غير مفهومة** ".[2]

يتعرض الكاتب هنا للحديث عن الثقافة الجزائرية و اللغة الفرنسية التي أصبحت سائدة في شوارع الجزائر، فالراوي يبرز الثقافة الغيرية للمجتمع الجزائري المستلب ثقافيا ويتأرجح بين الهويتين العربية و الفرنسية وكما نعلم فإن الاستعمار لم يكتف باحتلال الأراضي ونهب خيراتها، بل امتد إلى نهب الممتلكات الرمزية للشعوب المستعمرة من خلال تدمير بنياتهم الرمزية المتمثلة في اللغة و الثقافة و العادات و التقاليد وكذا القيم المشكلة لهوية الشعوب، كما أن لغة البلدان التي تعرضت للاستعمار شوهت ودمرت من خلال إعطاء دور للنظام التعليمي الكولونيالي في فرض لغة المستعمر، ويظهر هذا جليا في الرواية " **آه نعم " لم تكذب ؟ اسمك يونس أليس كذلك ؟ يونس؟**

- **لماذا إذا تسمي نفسك جوناس ؟** " [3]

---

1 - بن علي لونيس، المرجع السابق، ص 46.

2- ياسمينة خضرا، فضل الليل على النهار، تر : محمد ساري، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 106.

3 - نفس المصدر، ص 90.

هنا ينتقل بنا الكاتب من خلال شخصية " **يونس**" بالنسبة للجزائريين و "**جوناس**" بالنسبة إلى الفرنسيين إلى إشكالية محورية زاخرة العمق بالأهواء و التناقضات، وهي الانقسام الوجداني بين الهويتين، وبما أن وجود الإنسان مشدود إلى شجرة اللغة، ومرهون بإدراكاته اللغوية لهذا الوجود، فإن أي تغيير يطال نظام تعبيره، أو أي محاولة لإزاحته عن نظامه التقليدي سيحدث فيه تمزقا نفسيا وانفصامات ذهنية، وتخلخلات قيمية من شأنها أن تعرضه للأزمات في الوجود، ويظهر هنا في الرواية من خلال مأزقية الهوية و الانتماء الذين سيعيشهما البطل بداية من اسمه.

ويتطرق ياسمينة خضرا إلى الخطاب الكولونيالي في عدة مواضع من الرواية ويظهر جليا من خلال هذه العبارة:" **إنني من عائلة روسيليو هل نسيت ؟ هل تتصور أنني متزوجة من عربي، الموت أفضل** " [1].

يسلط الراوي الضوء على التهميش الذي كان مسلطا على الأهالي، في حين أن المعمرين كانوا يتمتعون بكامل الحقوق ووسائل العيش الكريم، وأقاموا الحدود بين محيطهم المباشر وبين كل ما هو خارج عن فضائهم كل ما هو متعلق بالعرب.

من خلال قراءتنا لهذه العبارات فإن البناء اللغوي للكاتب يعكس صورة الجزائري المهمش في أرضه، كما يبرز التقسيم الحاصل في الأماكن العمومية بين الجزائريين و الفرنسيين"**بحثت عنه في المطابخ الشعبية و المقاهي والحمامات العربية... بلا جدوى**"[2]. المطابخ الشعبية و الحمامات العربية للعرب، الفئة المحرومة من الجزائريين، ونجده في المقابل يصور لنا الحياة الثقافية و الاجتماعية المترفة التي يعيشها المعمرون في الأماكن الخاصة بهم، وكثيرا ما يمنعون عنها العرب بلافتات تعلق على الجدران. "**لا تضع قدميك هنا أيها المقمل هذا ليس مكانا لأمثالك، دخل النادل إلى الحانة وخرج منها بعد لحظات وفي يده نعل ... خذ نعلك يا جحا البئيس، ستجرى بها أحسن، وأسرع إلى خسارتك** "[3].

يتحدث الكاتب عن الحدود الكولونيالية التي كانت ممنوعة عن العرب، وإذا ما صادف أن انتهك عربي هذه الحدود فإنه يلقى به في قارعة الطريق دون أن يعبأ له أحد،

1- ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص 90

2 - نفس المصدر، ص116.

3 - نفس المصدر، ص 67.

وضح لنا الراوي صورة الأهالي وعلاقتهم مع المعمرين الذين كانوا يعيرونهم بالكلمات النابية و المسيئة لشخصهم وانتماءاتهم وهيئاتهم، المقمل، حجا البئيس ...

فالفرد يعيش وسط مجتمعه ويسعى دائما إلى الانسجام فيه حتى يحقق وجوده وكيانه، غير أنه وفي أحيان كثيرة يتفاجأ بوجود فوارق في العلاقات و المعاملات، تؤثر عليه سلبا:

" هل يتكلم الفرنسية ؟

**بغير وضوح يقول جو بأن جدته الأولى فرنسية من منطقة الصافوا العليا، ولكنه لم يستخدم لغتنا أبدا،** [1] لغة المستعمر من أهم المخلفات التي تظهر في المجتمعات بعد الاستعمار، و المستعمر أدرك أن المعركة الحقيقية ليست تلك التي تحدث فيها المواجهة بالأسلحة وتحتضنها الأعراش و الجبال، إنما هي أيضا تلك التي تدور في أرض اللغة، فكان لزاما على المحتل أن يفرض وجوده، ويضمن استمراريته، وهنا تلعب اللغة دورها المحوري في إعادة صياغة وتنظيم النظام داخل هذه المجتمعات، مع خلق ارتباكات في نظره المغلوب لوجوده وللعالم الذي ينبغي أن يعبر عنه من خلال لغته المحلية.

**ثانيا: الدين.**

تعد الديانة أقوى مرتكزات الهوية الثقافية التي تشكل معنى الأنا الجمعي لأي أمة من الأمم، ونعني بها الإيمان بأفكار ومعتقدات وتصورات تتصل بالله وكتبه ورسله كما تتصل بالحياة الدنيا و الآخرة، وتتعلق أيضا بالتنظيمات و التشريعات الدينية يعد " الدين من أهم العناصر التي شكل المجتمعات وتوحد قيم ومفاهيم الأفراد فيها وأنماط تفكيرهم وعاداتهما وتقاليدهم وآراءهم بخصوص الطبيعة و الإنسان و العلاقة بينهما ..."[2] إذ تكمن أهمية الدين في أنه يخاطب عقول الناس وقلوبهم، فليس غريبا أن يكون المذهب الديني عنصرا أساسيا في تكوين الطابع القومي و الشعور بالانتماء، فهو يولد نوعا من الوحدة ويشير في النفوس بعض العواطف والنزاعات الخاصة و التي تؤثر في أعمالهم.[3]

1- ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص 107.

2- محمد عبد الرؤوف عطية، التعليم وأزمة الهوية الثقافية، ص 44.

3- المرجع نفسه، ص 44.

وعلى أساس من ذلك فإن " مفهوم نحن يعني في الفكر المعاصر حميمية الانتماء الحضاري وربما الروحي أيضا إلى دين من الأديان أو إلى جيل من الناس ... أو إلى طائفة من الطوائف، وما أكثرها في زماننا هذا "[1]

فالإسلام مثلا هو ديانة للأمة الإسلامية ممثلا لأصالتها وهويتها، فهو الذي يطبع ويصبح ثقافتها بطابعه ويصوغ نضرتها للكون، للذات و الآخر وقد " أوردت دائرة المعارف الإسلامية في تعريفها للإسلام قولها: "**أنه الاسم الذي ينطقه المسلمون في كل قطر على عقيدتهم، ومن هذه الكلمة الخضوع و الاستسلام لله** ... " [2]

ومما هو متعارف عليه أن الديانة الإسلامية جاءت هداية للإنسانية جمعاء، ولم تنكر الرسالات السماوية السابقة ودورها، بل جمعت بينها لتصحح العقيدة الدينية، حيث " جعلت هذا الإيمان بالرسل السابقين ورسالاتهم شرطا من شروط الإيمان الصحيح " [3] .

كما دعت إلى الحرية في اختيار المعتقد و المساواة بين الناس في الحقوق و الواجبات لتحقيق التعايش بين المسلمين وغيرهم، وكان " من مميزاتها أيضا أنها اتسمت بالوسطية فلم تكن أميل إلى المادية كما كانت اليهودية ولا أميل إلى الروحانية كما كانت المسيحية وإنما كانت مادية روحية وبذلك كانت مادية لكل الحاجات قادرة على الاستجابة لكل المتغيرات "[4].

إذن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان يفهم الذات الإنسانية حق فهمها لتتخذ منها منطلقا لكل إصلاح وتغيير إيجابي في نفس لبشرية مخاطبا بذلك العقل البشري.

---

1- عبد الملك مرتاض: الإسلام و القضايا المعاصرة، دار هومة للنشر و التوزيع، بوزريعة الجزائر، د ط،2009، ص 83.

2 - موسى معيرشي: الجدل الديني و السياسي في اليهودية في الإسلام بين المقدس و المدنس، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة الجزائر، ط1، 2010، ص 36.

3- عبد االغني عبود: العقيدة الإسلامية و الإيديولوجيات المعاصرة، سلسلة الإسلام وتحديات العصر، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1980، ص 285.

4- المرجع نفسه، ص 95.

في النظير والمقابل الآخر اليهودية كذلك ديانة ونظام حياة، فهي ديانة لكونها تنطلق من الإيمان بوجود الله و الإقرار بالأنبياء و الرسل لهداية بني إسرائيل على أن عبادتهم لإلههم تستلزم منه حمايتهم وجعلهم شعبا مختارا، أما أنهم من حيث أنها نظام حياة فتعود إلى محاولة المؤمنين بها من أتباعها السير وفق تصوراتها في حياتهم الخاصة و العامة.[1]

ففي اعتقادات اليهودية الثقافية أن لكل شعب إله خاصا به، لذلك" تتردد اليهودية في الإيمان بالله الواحد ولذا نجدها أحيانا ترى أن يهوى ليس الإله الوحيد في الكون، وإنما هناك آلهة أخرى للشعوب الأخرى أن تكون ضامنة لمواثيق أتباعها " [2]

وقد استطاع اليهود أن يطوعوا دينهم لما يخدمهم وأغراضهم الحياتية، فاعتقادهم أنهم شعب الله المختار يفعلون ما يرغبون ويبتغون، ويبيحون ما يريدون ويشاءون كله باسم الدين على أية حال فإن لكل إنسان توجيهه ودينه الذي ينتمي إليه، ثم إن عقيدة الإنسان مذهبه باختصار، أي ما يؤمن به ويراه عن اقتناع قلبي أكيد وعلى الأساس هذا يؤمن به ويراه يذهب في حياته أي يسير ويسلك "[3]

فالإيمان بدين معين يفترض قطعا لا يقبل الشك فيه لدى معتقده المنتسب إليه و الذي يمثل جزءا هاما من هويته.

إذا ما نحن عمدنا للمقارنة بين الديانتين محط الدراسة فإننا نعثر على أن " .. من أهم مظاهر هذا الاختلاف الوضع بين الديانتين تشعب اليهودية في مقابل وحدة الإسلام، وتغير النص التوراتي في مقابل ثبات النص لقرآني، واعتماد التفسير الإنساني للوحي كمصدر للمعرفة الدينية في الإسلام، واعتبار العقل مجرد وسيلة لتفسير الوحي " [4]

---

1- موسى معيرشي: الجدل الديني و السياسي في اليهودية في الإسلام بين المقدس و المدنس، ص19.

2- المرجع نفسه ، ص 24

3 -عبد االغني عبود: العقيدة الإسلامية و الإيديولوجيات المعاصرة، ص 17.

4- محمد خليفة حسن أحمد: علاقة الإسلام باليهودية (رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية)، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة، دط، 1988، ص6.

كما أن الإسلام ينادي بعالمية الدين و الوحدانية وجود الله الواحد فعلى العكس تردد اليهودية بتعدد الآلهة، حيث تم الاعتراف بوجود آلهة أخرى لليهود إلى جانب هذا تدعى اليهودية بتأثيرها الشامل على الإسلام، فكل مفاهيم هذا الأخير أصولها يهودية، وهو لا يمثل الأبنية الصغرى من بنيات اليهودية الأم، وغير ذلك من التشبيهات الزائفة التي لا تعبر عن الحقيقة التي تهدف إلى محو الإسلام نظريا وعلميا [1]

ويبرز لنا الراوي الإيمان بعقدة الإسلام و الإيمان بيوم القيامة التي أخبرنا بها القرآن الكريم واعتبرها حقيقة لا مفر منها، إذ يحاسب الناس على أفعالهم وأقوالهم ثم يقسمون إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في النار.

ويتجلى ذلك في قول الكاتب:

**"لم يدرك والدي أن البنت لم تعد تتغذى، وأن شيئا بذهنها منذ تلك الليلة التي اختارت جهنم أن ترمي نارها على حقولنا".**[2]

تظهر الهوية الدينية في هذه الرواية في تمثيل الشخصيات التي تكتسب معنى الأنساب إلى ديانة معينة وقد أوردها الروائي بدلالات عديدة.

ففي روايتنا هذه نجد عند قول ياسمينة خضرا: " **في تلك الليلة وعندما رأيت النيران عند بعد، أدركت أن شقيا فقيرا يعود إلى الجحيم ولكنني لم أكن أتصور أن الأمر يتعلق بك- رد أبي إنها مشيئة الله"**[3].

ونجد في الرواية تأثرا بالمسيحية من خلال ذكره لبعض العبارات التي استقاها من فكرهم وإمائهم، ويتجلى لنا ذلك في قول الكاتب: "**وعلى طريقته في حمل الأثقال وعلى خطاه المنتظمة القطة و التي يبدو أنها تركل الأرواح الشريرة".**[4]

1 - محمد خليفة حسن أحمد، المرجع السابق، ص 14.

2 - ياسمينة خضرا، فضل الليل على النهار، ص 12.

3 - نفس المصدر، ص 13.

4- نفس المصدر، ص 14.

في اعتقاد المسيحيين أنه توجد أرواح شريرة تطارد بعض البشر، ويتجلى لنا أن الراوي على الإطلاع بطقوس المسيحية في قوله: " **ذلك يومك الأحد صباحا، وكنت بالبيت أقاوم الضجر، عاد عمي إلى الانغلاق على نفسه بداخل مكتبه، فكان بمثابة ميت، وجرمان ذهبت إلى الكنيسة** ".[1] ويبدو متأثرا بالمسيحية أيضا في قوله :

"... **في إفهام المسافرين الذين يعيونها بأن المظاهر فصلية حينما يتعلق الأمر بردم الأحكام التعسفية، وإحصاء طرقات الصليب التي كان من الواجب تحديها للوصول إلى القمر**.[2]؛ فهو يعطي ملمحا بارزاعن آثاره بالمسيحية من خلال حديثه عن تمثال الملاك والصلاة المسيحية في مواضع عدة من الرواية

- **القرآن الكريم**:

ياسمينة خضرا مطلع ومتأثرا بالقرآن الكريم وبألفاظه وذلك يظهر جليا في قوله: "**يتأمل المحصول الذي يعد أخيرا بفرحة أكيدة بعد سنوات عجاف من الجدب وقحولة الأرض**".[3] في قصة سيدنا يوسف في الآية الثانية:﴿ **قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾. (43) سورة يوسف.

ويبدو لنا تأثره أيضا بالقرآن الكريم في قوله:

"... **يائسين من كظم غيظهم** ..."

وهذا ما يوافق قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (134) سورة آل عمران.

يظهر أن ياسمينة خضرا على دراية بقصص القرآن الكريم ويبدو ذلك واضحا عندما قال:

1 - ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص 89.

2- نفس المصدر، ص 85.

3- نفس المصدر، ص 8.

"...آدم الذي طرد من الجنة لا يكون تائها مثلي" [1].

## ثالثا: العادات و التقاليد.

يمكننا الانطلاق في دراسة هذا العنصر لمعرة ثقافة المجتمعات السائدة من المسلمة القائلة بأن "قيم ومثل المجتمعات تختلف من ثقافة لأخرى، ولا يمكن أن يوجد شيء بوصفه مجتمعا أو ثقافة، مثالية، وهذا القول معناه لا توجد قيم صحيحة بشكل عام أو عالمي وأن كل الثقافات بالتساوي صحيحة، هذا التأكيد بشدة على الاختلاف الثقافي يؤدي إلى فهم الآخر بوصفه خطر على الأنا ".[2]فالشخصية الثقافية تتمايز في قيمها وطرائق وسبل معيشتها عن الآخر، وباعتبار أن الثقافة المجتمعية إحدى المحددات الرئيسية للهوية تتميز بالتماثل مع تقاليد الأنا التي قد لا تقبل أية تغيير فيها، لأنه قد كون من إنتاج الآخر المختلف عنها، فتعتبره خطرا عليها وعلى استمرارها في الوجود.

إن مفهوم الثقافة ذو طبيعة اجتماعية عميقة من ناحية جوهر مضمونه ذاته، لكونه يعبر عن نتيجة النشاط الاجتماعي للإنسان وصيرورته وهذه الحقيقة تجبرنا على إيجاد العوامل الذاتية وأفكار الناس وأمزجتهم وأذواقهم اهتمام خاصا لدى الكشف عن مضمون هذا المفهوم على أن صراع الطبقات هو العامل والدافع الأساسي في التطور والتقدم الاجتماعي"[3]، فكل فئة تسعى جاهدة لتقدم لنفسها أولا، ومن ثم تقدم لمجتمعها أفضل الخدمات التي تبرزها وتميز صورتها أمام المجتمع، ولتدافع عن حقوق طبيعتها الاجتماعية ولا يقاس "مستوى تطور الثقافة بمضمون القيم الروحية فقط، بل بطابع العلاقات التي تتشكل خلال عملية إنتاجها وبطريقة توزيع هذه القيم واستهلاكها وبموقف الكادحين من القيم الروحية، أو درجة نفاذ الثقافة إلى الجماهير"[4].

---

1 - ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص 91.

2 - جورج لارين: الإيديولوجية و الهوية الثقافية ( الحداثة وحضور العالم الثالث ) تر: فريال حسن خليفة، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 2002، ص29.

3 - غوربونوف: في الثقافة ( مساهمة لينين في تطوير النظرية الماركسية في الثقافة، تر: يوسف حلاق، دار الغرابي، بيروت، ط1، 1982، ص 149.

4 - نفس المرجع، ص 158.

إلا ّأن ثقافة المجتمع تعتمد على تبني المجتمع لقيم وعادات معينة ومن ثم تراعي فيها إمكانية تقبل واستهلاك الجماهير لها و السير وفق خطاها، ومن هنا يفترض تطور ونمو هذا المجتمع.

وتعمل القيم كقوى اجتماعية في تشكيل اتجاهات الاختيار عند الأفراد وهي التي توجه الفعل الاجتماعي نحو الأهداف الخاصة أو العامة فالقيم في الحقيقة هي العوامل أو القوى الحقيقية في حياتنا الاجتماعية و القيم هي التي تشكل المعايير التي بدورها تحكم على الفعل بالصواب أو الخطأ، فالقيم تعمل كمبررات أو ترشيد للسلوك أكثر من هذا فإن القيم هي ما ينبغي أن يكون أو واجب أو مثال لأي تراث أو ثقافة[1].

ولأن الهوية الثقافية انتقائية فإنها تسمح بإمكانية الاختيار بين القيم المبتغاة من طرف المجتمع أو يحق لكل فرد اختيار مبادئه وأعرافه من هذا المجتمع، وله أنه يترك ما لا يلاءم شخصيته شرط عدم المساس بالقوانين الاجتماعية، و القناعات المطلقة التي تؤمن بها الجماعة.

الثقافة المجتمعية نحوي "مجموعة التقاليد و التجارب و الممارسات و المعارف المتنوعة التي اختبرها الشعب في هذا البلد أو ذاك في مراحل عدة من التاريخ فضلا عما يعبر عن هذه من التجارب و الممارسات و المعارف في أشكاله التعبيرية من أدب وفن "[2] فعندما تسود الأنظمة الاجتماعية في جميع الفئات الاجتماعية التي تعمل وفقها هنا بتحقق رابط الهوية وتقوى أوامر الأخوة و التوحد الاجتماعي وعند أفراده الذين يشتركون في عديد من القيم الإنسانية.

ويمكن لنا أن نعد التقاليد العادات و القيم " صفات الموضوعات و الظواهر المادية للوعي الاجتماعي التي نميز أهميتها للمجتمع ولطبقة ما و الإنسان ما، ويخلق نسقا من المفاهيم الأخلاقية – المثل العليا - التي توجه سلوك الإنسان "[3] فيزيد ذلك من قوة الانتماء

---

1 - محمد أحمد بيومي: القيم ومواجهات السلوك الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة مصر، د ط، 2006، ص ص 185-186.

2 - حسني محمود، الضفة الأخرى ( دراسات في الثقافة و الأدب و النقد )، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2008، ص 18.

3- برهان غليون وسمير أمين: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة دار الفكر المعاصر دمشق وبيروت، ط1، 1999/1420، ص 234.

لديه ليجعل من حب الوطن القيمة الاجتماعية الأساسية، و الهدف الأسمى لقوميته وحياته، فيتوسع الشعور بالمصير والأهداف و المسؤوليات المشتركة لجميع المواطنين. [1] فهم يتقاسمون الحقوق و الواجبات ويعلمون تمام العلم قواعده وقوانينه الاجتماعية المأخوذة من تاريخه و تراثه العريق المتداولة و المنتشرة بين الناس المنتقلة إليهم عبر الأجيال و الأحقاب الزمنية جدا عن أب عن ابن في هذا المجتمع، أي ما يكتسبه أفراد المجتمع عن طريق الفطرة أولا ثم الاكتساب ثانيا.

ويقصد بالمعتقدات الشعبية تلك الأفكار التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي، وما وراء الطبيعة، وهذه المعتقدات قد تكون في الأصل نابعة من نفوس أبناء الشعب ذاته عن طريق الكشف و الإلهام. [2]

وتتعلق بطريقة اللباس أو الأكل عند شعب من الشعوب كما تتضمن طرائق الاحتفال ومختلف الطقوس الاجتماعية الخاصة بالمناسبات، وربما تنطوي الحكايات الشعبية والخرافات وكافة السلوكات التقليدية التي تعود أهل منطقة ما على القيام بها باستمرار وديمومة، وعلى الرغم من أن العادات و التقاليد هي أمور معنوية غير حسية وإلا أنها تعد من أهم مكونات الثقافة الوطنية التي تميز مجتمعا إنسانيا عن غيره من المجتمعات، وقد جاءت لتكوين التفاعل الاجتماعي، فهي الرباط المعنوي الذي يحافظ على تماسك المجتمع ويخلق لديهم – أي أفراده – شعورا عاما بالوحدة و التجانس و المصير المشترك[3].

فالمجتمع الإنساني متكون من أفراد يشكلون جماعات لديها عادات وأعراف لتنظيم العلاقات الاجتماعية فيه، وعليه الفرد يأخذ تصرفاته من غيره، ويتأثر بالآخرين في طرق حياتهم ثم يحاول تقليدهم ومجاراتهم ليشبههم ويكون واحدا منهم وينتسب إليهم.

وتؤكد القيم الثقافية أنها تشكل الوجه الخفي للتجربة الإنسانية، وهي بذلك ترسم الملامح الأساسية لضمير المجتمع ووجدانه، وتكمن وظيفتها وبالتالي في تشكيل ضمائر

1- برهان غليون وسمير أمين، المرجع السابق، ص 234.

2 - أحمد بن نعمان: هذي هذه الثقافة،المرجع السابق، ص 823.

3 - محمد بن عبد العزيز ربيع: الثقافة وأزمة الهوية، ثقافة المقاومة، مؤتمر جامعة فلاديلفيا الدولي العاشر لكلية الآداب و الفنون، مطبعة الخط العربي، المملكة الأردنية الهاشمية، 2006، ص 51.

أفراد المجتمع وتطويق سلوكهم، وهي في هذا السياق تهدف إلى تنظيم السلوك والحفاظ على وحدة الهوية الاجتماعية وتماسكها.[1]

كثيرة هي العادات والتقاليد التي تميز مجتمع عن آخر وتعكس إلى حد كبير وحدة هذا البلد وهويته، وأبرز ما يميز هوية الفرد أو المجتمع أزياءه التقليدية، حيث يعتبر اللباس معلما من معالم ثقافة الشعب، ففي رواية " **فضل الليل على النهار**" عرج بنا ياسمينة خضرا "إلى صورة الجزائري الذي حافظ على أصالة تراثه، في حديثه عن أسلاف يونس، " **مر عمي على صورة ثانية تجمع ثلاثة رجال ببرانيس الأسياد، الوجوه وقورة بلحي معتنى بها، النظرات قوية كما لو أنها ستنبثق من الإطار**".[2]

لطالما كان " البرنوس " الزي التقليدي الذي توارثه الآباء عن الأجداد عبر مئات السنين، حيث يعتبره الفرد الجزائري اللباس الملكي الذي يبرز هويته " ياسمينة خضرا " بهذه العبارة قدم صورة الرجل الجزائري الأصيل بأزيائه وعكس بعده الحضاري.

كما يحيلنا أيضا لبعد آخر لهذه الصورة وهو القيم التي على أساسها تقام الحضارات وتسيّح القوميات ضد العناصر الدخيلة التي تهدد بناء الذاكرة الثقافية و التاريخية للأبناء."[3]

يصف لنا ياسمينة خضرا حالة البؤس التي تظهر من خلال ارتدائهم للملابس الرثة الشبيه بأكياس خيش لتواضع وفقر الريفيين ويظهر لنا جليا في قوله: "**أوقف أبي العربة قرب حانوت كئيب يلتف حوله أطفال يرتدون كما لو أنها جلابيب أكياسا من الخيش، مرقعة بفضاضة وهم حفاة الأقدام**".[4]

وأيضا يبرز لنا الكاتب اللباس التقليدي للمنطقة في قوله: "**غمغم الحانوتي وهو يسوي عمامته وهو يسوي عمامته الساقطة على وجهه**".[5] فمنها ذكر الكاتب للعمامة والتي تعتبر من اللباس التقليدي الريفي الذي يميز سكان البادية عن غيرهم.

---

1 - سليم جيهان وآخرون: الثقافة العربية ( أسئلة التاطور و المستقبل )، ص 25.

2- ياسمينة خضرا، فضل الليل على النهار، المصدر السابق، ص 56.

3 - نفس المصدر.

4 - نفس المصدر، ص 9

5 - نفس المصدر، ص9

ويذكر لنا الراوي بعض عادات السكان الأصليين للمنطقة وبعض الملابس التقليدية المعتاد ارتدائها هناك حين قال:

"... **الوجوه معقرة بالرماد، النظرة مجمدة، مخيطين إلى برانيسهم.**[1]

ويذكر لنا أيضا عادات لبس الأجانب عندما قال:

"... **يوجد بعض الروميين الذين يتحركون هنا وهناك أو مسلمون ببدل وروبية، الطربوش على الأذان**".[2]

ينتقل الراوي إلى وصف الأب وهو مبتهج حيث قال: "**أثناء الطريق طفق يد تدن لحنا بدويا، إنها المرة الأولى في حياتي أسمعه فيها يغني، كان صوته يتسرب عبر جميع الاتجاهات**".[3]

مما يظهر بأن ياسمينة خضرا يبرز عادة الوقار اتجاه الأب وبأنه يوجد حاجز بين الأب و الابن لا يجب تجاوزه عند الجزائريين خاصة والعرب عامة

وفي مقولته: "**وبعد ذلك، سقط على ركبته، انبطح على بطنه ثم وتحت أعيننا المذهلة، ترك نفسه يقوم بشيء لا يفعله رجل أبدا أمام الملأ، انفجر بالبكاء ... ذرف جميع دموع جسمه**".[4]

فالعادات تمنع الرجل من البكاء لكي لا تسقط قيمته.

ولقد أبرز لنا الكاتب عادة إكرام الضيف لدى أهل البادية حين قال:" ... **بعثني أبي لأسأله عما يريد عندنا، إنه راعي غنم يرتدي اسما لا يوجد ذابل ويدين خشنتين اقترح علينا المبيت و الأكل رخص أبي ... ، ألح الراعي، سوف لن يغفر له الجيران ترك عائلة تبيت في العراء بقرب كوكه، رد أبي برفض قاطع.**[5]

يصف لنا ياسمينة خضرا حالة الناس "...**البطالون الذين لا يختلفون كثيرا عنها، يشبهون الفزازيع المهملة، المتروكة هنا إلى أن تبعثرها الزوابع في الطبيعة**".[6]

---

1 - ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص94

2 - نفس المصدر، ص94

3 - نفس المصدر، ص 8.

4 - نفس المصدر، ص 11.

5 - نفس المصدر، ص 15.

6 - نفس المصدر، ص 9.

فهنا نلاحظ تأثر الكاتب بعادة الفلاحين في وضع الفزازيع ووضعها في الحقول لتخويف الطيور من الاقتراب إلى المحصول والتهامه.

ويشير لنا الراوي إلى عادة التنقل بالعربة التي نجدها عند العرب قائلا:"... أقعدني بجانبه فوق العربة واتجهنا نحو القرية".[1]

ويذكر لنا الكاتب عادة ءأطفال القرية في التسلي بأشياء تدل عن بؤس حالهم حين قال: " **يركضون حافي الأقدام كي يتسلقوا خلف الشاحنات لمتزعرجة وسط العربات، وهم يقهقهون غير مبالين...**".

1 - ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص 08

# خاتمة

بعد دراستنا لرواية" فضل الليل على النهار" توصلنا إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- عنوان الرواية تمثل بالدلالة، ففضل الليل على النهار أراد من خلاله الراوي إيصال فكرة معينة، فدلالة الليل هي الظلام والسواد ودلالة النهار هي النور، ويقصد فضل فرنسا على الجزائر، وفضل المعمرين في بعث الحياة في أرض الجزائر.

- تناولت الرواية القضايا الوطنية والاستعمار والتحرر والهوية المسلوبة والكرامة المغصوبة والأرض المنتهبة والوطن المعتدى عليه، وسواها من القضايا المتعلقة بسياق الاستعمار والتحرر.

- يقوم النص بتمثيل الزمن الكولونيالي السابق للثورة الجزائرية وسياقها السوسيو إيديولوجي والفضاء العام الذي عاشته الجزائر آنذاك.

- نلمس من خلال الرواية أن الكاتب عزز قضية الأقدام السوداء والتمزقات الكبرى التي رافقت اقتلاعهم من أرض توارثوها أبا عن جد من دون أن تكون إرثا شرعيا.

- تركيبة الرواية تومئ إلى العلاقة المتوترة بين اللغة الفرنسية والعربية في الصراع الإيديولوجي بينهما.

- راح الناص ينسج خطابه ويحبك سرده متبوعا برغبات متناقضة ومتداخلة جديدة قديمة، لم يتخلص منها الراوي بعد، على الرغم من تعاقب السنين، من غصصها العميقة وجراحها وذاكرتها المليئة بالحنين والشجن إلى الوطن.

- استطاع الكاتب أن يجعل القارئ يشاركه الأحداث المؤلمة التي تحكي عن الانقلابات السياسية التي شهدتها الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية.

- اللغة في الرواية مملوءة بالصياغة المبهرجة والمتكلفة التي تحاول من خلالها إخفاء السوداوية المسيطرة على النص، وتتميز الرواية أيضا بتلاعب لفظي معبر.

- الراوي يفضل المسيحية على حساب الدين الإسلامي، ذلك ما التمسناه في فصول الرواية

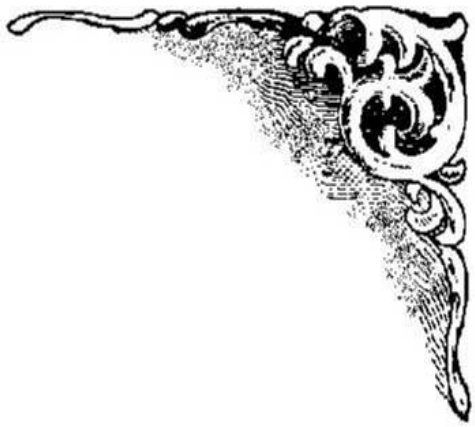

# الملاحق

**الملحق رقم (01): ترجمة لسيرة الكاتب:**

ياسمينة خضراء (بالفرنسية: Yasmina Khadra) هو الاسم المستعار للكاتب الجزائري محمد مولسهول.[1][2][3] ولد بتاريخ 10 يناير/كانون الأول 1955 بالقنادسة في ولاية بشار الجزائرية. كان والده ضابطا في جيش التحرير الوطني أثناء الحرب ضد المستعمر الفرنسي ثم في صفوف الجيش الوطني الشعبي بعد استقلال الجزائر ووالدته بدوية، وفي عمر التاسعة التحق خضراء بمدرسة أشبال الثورة بتلمسان بالغرب الجزائري و هي مدرسة تديرها وزارة الدفاع الوطني و الدراسة تتكفل بها وزارة التربية و الحياة فيها شبه عسكرية، وتخرج منها متحصلا على الباكالوريا سنة 1974 للإلتحاق بالأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة التي تخرج منها برتبة ملازم عام 1976 ثم التحق بالقوات المحمولة جوا . خلال فترة عمله في الجيش قام بإصدار روايات موقعة باسمه الحقيقي. عام 2000 وبعد 36 عاماً من الخدمة يقرر ياسمينة خضراء اعتزال الحياة العسكرية والتفرغ للكتابة، وأستقر لاحقاً مع أسرته في فرنسا.

في العام التالي نشر روايته "الكاتب"التي أفصح فيها عن هويته الحقيقية وتليها "دجال الكلمات" كتاب يبرر فيه مسيرته المهنية. وتبلغ شهرته حد العالمية حيث تترجم وتباع كتبه في 25 بلد حول العالم. تتطرق أفكار ياسمينة خضراء إلى مواضيع تهز أفكار الغربيين عن العالم العربي، حيث ينتقد الحماقات البشرية وثقافة العنف، ويتحدث عن جمال وسحر وطنه الأم الجزائر، ولكن أيضاً عن الجنون الذي يكتسح كل مكان بفضل الخوف وبيع الضمائر متذرعاً بالدين ومخلفاً وراءه حماماتٍ من الدم.

- ترعرع في مدينة وهران بغرب الجزائر، وبها تغنى وكتب فيها كتابين: أحدهما يحمل عنوان "فضل الليل على النهار" 2008، وهو الكتاب الذي نال صدى واسعا في العالم، وبيعت منه مليون نسخة في فرنسا وحدها.

- يصف الكاتب الجزائري وهران بأنها مدينة تحب الغزل، وأم غاضبة من أولادها لأنهم لم يعرفوا كيف يتغنون بها، ويقول إن بينه وبين هذه المدينة مشاجرة يومية لأنها لا تعطيه كل ما يطلبه.

ورغم ما يكنه لوهران من حب، لم ينس خضرا الصحراء التي ولد فيها (بشار مسقط رأسه) والتي يعدها عالما عميقا وفلسفيا، ويعلن أنه يؤجل الكتابة عنها إلى حين وصوله إلى مكانة كبيرة في الأدب.

- ويرى الأديب الجزائري أن كتابته باللغة الفرنسية سمحت له بالانتشار والتجول عبر العالم، لكنه يقول إنه لا يكتب مثل الفرنسيين وإنما يكتب بروح البدوي ابن الصحراء، وبروح الجزائري والعربي.

- كل كتابات ياسمينة خضرة باللغة الفرنسية وهي :

- آمين، 1984

- حورية، 1984

- بنت الجسر، 1985

- القاهرة- خلية الموت، 1986

- من الناحية الأخرى للمدينة، 1988

- Le Privilège du phénix, 1989

- الجنون بالمبضع، 1990

- معرض الأوباش، 1993

- Morituri, 1997

- الربيع الوهم، 1998

- أبيض مزدوج، 1998

- Les Agneaux du Seigneur, 1998

- بماذا تحلم الدببة، 1999

- الكاتب، 2001
- دجال الكلمات، 2002
- سنونو كابل، 2002
- Cousine K, 2003
- حصة الموت، 2004
- "زهرة البليدة"، 2005
- صفارات إنذار بغداد،2006
- "Ce que le jour doit à la nuit", 2008 ومترجمة فضل الليل على النهار
- "آلهة الشدائد"2010
- المعادلة الإفريقية،2011
- الملائكة تموت من جراحنا 2013.
- ماذا تنتظر القردة 2014.
- ليلة الرئيس الأخيرة 2015.
- ليس لها فانا رب يحميها 2016.
- فضل السراب على الواحة 2017 الذي لم يترجم بعد إلى العربية.

## الملحق رقم (02): ملخص الرواية

**ملخص الرواية:**

يعيش الإنسان بكل تفاصيلها وظروفها مستسلما لمشيئة الله وقدره وقسمته في هذه الحياة، وهنا تعتبر رواية " **فضل الليل على النهار**" **لـــ ياسمينة خضرا** أنموذجا لأنها تقص علينا حيثيات أحداث ووقائع متسلسلة عاشتها عائلة يونس بصراع حاد خاضته ضد مسالك هذه الدنيا الوعرة، المليئة بالمتناقضات والمصائب التي لا تنتهي، وسوء المعيشة وضيق الحال، وما جعل النار تزيد اشتعالا وجود المستعمر بأرض الوطن الذي زاد من تقهقر الوضع وتدهور أكثر.

لقد بدأت انطلاقة هذه الرحلة من قرية في الريف، بحياة بسيطة هنيئة قبل هب العاصفة ليعيشوا بعد ذلك هول العاصفة التي أشعلت النيران في الحقول فالتهمت اليابس والأخضر، وما يزيد الطين بلة أخذ " القائد" لأرض الأجداد بالغصب.

بعد ذلك رحلت العائلة إلى مكان بالمدينة وهران يدعى " **جنان جاتو**" ليبنوا حياتهم من جديد، وهيهات مع ما اصطدموا به من مرارة وسوء للأوضاع هناك، فيسرد لنا يونس تفاصيل الحياة هناك بين انشغال الأب " **عيسى**" للبحث عن عمل بشكل مستمر وبين ما كان يواجهه هو الآخر، وما كان يحدث في الحوش مع أمه وبقية النسوة، وتعرفه على صديق يدعى "**هواري**".

كان هواري في هذه الفترة يجمع المال ليشارك أحدهم في العمل لربح أكثر، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد سلب ماله، وقام بقتل الفاعل، وهكذا بعدما استصعب الحياة ورأى أن الأخير ينتظره منح ابنه ويونس لأخيه الصيدلي " **ماحي**" ليعطيه حياة أفضل.

كما يسرد لنا كذلك حياة يونس الجديدة مع زوجته " **جرمان**" الفرنسية، وزيارته لأهله من حين لآخر للاطمئنان وقد تفاجأ "**يونس**" باكتشاف حالة أبيه الذي أصبح سكيرا قذرا قمارا.

بعد مدة من الزمن اختفى والد يونس وللأبد، وقد تعرف إلى صديقة بالمدرسة اسمها " **لوسات**"، كما أن العم " **ماحي**" تعرض للعقاب من طرف الشرطة الأجنبية بسبب تنظيمه لاجتماعات سرية تخدم الوطن الجزائري في بيته، فقرر العم بعد خروجه من السجن الرحيل إلى منطقة " **ريوصالادو**".

وهنا أعجب " **يونس**" بالمكان وأخذ يصف جماله الرائع، وتعرف على صديقة أخرى اسمها " **إيميلي**" كانت تحقن كل يوم من طرف " **جرمان**" وفي هذه الفترة كانت حالة العم "**ماحي**" تعج بالكآبة والقلق والانطواء لوحده جراء التعذيب، ودون سابق إنذار تختفي "**إيميلي**" وتحل محلها " **ايزابيل**" حفيدة أكبر ثري في المنطقة إنه الجد " **روسيليو**" حيث انفصلت عنه بعدما اكتشفت جنسيته الحقيقية.

وتستمر الحياة في " **ريوصالادو**" فيلتقي يونس في المدرسة بأصدقاء آخرين ربطت بينهم صداقة حميمية كان " **جان كريشوفامي**" و " **فايرسا سكاماروني**" و " **سيمون بن يامين**" و " **أندري صوزا**" فأصبحوا لا يفترقون أبدا، ليعاودوا الحديث عن جريمة قتل داخل ذلك المنزل في " **جنان جاتو**" أين اختفت أم يونس وابنتها زهرة ولم يعرف أحد عنهم خبر قط، وكذلك العودة للحديث عن مغامرات يونس وأصدقاؤه وتعرفه على امرأة مسنة أجنبية " **كازيناف**" حاولت التقرب منه ثم أبعدته عنها بعد أن وقع في شباكها، وبعد سنوات كبر الأصدقاء وقام " **أندريه**" بفتح حانة جديدة أين دعاهم لتدشينها، حيث كانوا يلعبون البلياردو ويستمتعون بأوقاتهم ولطالما كانوا يعيدون نفس السهرة مع جو من الموسيقى واحتساء الشراب باستثناء يونس لم يشرب أبدا، ظهرت ذات يوم فتات اسمها "**ايميلي**" وحيدة في الحانة وهي ذات جمال رائع ذهل الأصدقاء من هذا الجمال، الكل أعجب بهذا الجمال، الكل أعجب بها وأكثرهم " **سيمون**"، لكن فاز بها " **فابريس**" للخروج برفقتها ولكن " **ايميلي**" كانت تحاول الإيقاع بيونس بنظراتها المستمرة والتحديق به.

وفي هذه الآونة عاد العم "ماحي" شيئا فشيئا لدرب الحياة وبدأ يتفتح على طبيعتها، وهذا ما أسعد" **جيرمان**" و"**يونس**"، لقد تعرف يونس على" **إيميلي**" من جديد أن اكتشفت

أنه الصيدلي، كما غضبت السيدة "**كازيناف**" من إعجاب ابنتها **ايميلي** بالشاب **يونس** أين قررت مواجهته وتحذيره من الاقتراب منها بسبب علاقتها السابقة به. ووعدها **يونس** بأن شيئا لم يحصل بينه وبينها، وهنا بدأ يونس ينزعج من **ايميلي** وبدأ ينسحب من مجموعة الأصدقاء، وبعدها انفصلت **ايميلي** عن " **فابريس**" أين غادر إلى مدينة وهران فاستغل **جان كريستو** الوضع ليتقرب منها حيث قرر الارتباط بها، في حين فوجئ **بإيميلي** وهي تمسك يد يونس وقرر الرحيل ودخول العسكرية، بعد مرور زمن أخذ يونس يسترجع ذكرياته مع **ايميلي** تلك الفتاة الصغيرة التي التقاها في الصيدلية، وكانت **جيرمان** تحقنها كل يوم، أين أهداها هو الآخر يومها وردة في كتابها دون علم منها بذلك وكان خبر مفاجئ جدا ليونس.

قرر كريستوف مراسلة " **فابريس**" والاعتذار منه بعد فترة من الزمن ومراسلة باقي الأصدقاء إلا يونس الذي حدث سوء فهم بينهما، في هذه الأثناء قامت " **كازيناف**" بعقد شراكة تجارية مع" **سيمون**" لدار خياطة أين اقترحت عليه طلب يد ابنتها فوافق وزاد هذا الخبر من تعاسة يونس، حيث جاءت إليه **إيملي** تترجاه كي يصارحها بمشاعره بالرد بالرفض على عرض الزواج، لكنه بقي صامتا بعدها ارتبطت مستسلمة مع " **سيمون**".

تمر الأيام وتنقضي معها السنوات، وتتغير الأحوال ليصدم "يونس" بخبر موت العم " **ماحي**" وهو يوصي " **يونس**" بالزواج برغبته الشديدة في رؤية الأحفاد، من جهة أخرى بدأت نيران الحرب تنتشر في المدن والقرى، وتحدث الجرائد عن الإرهابيين والمتمردين والخارجين عن القانون، وصل البعض من المنتمين بما يسمى بجبهة التحرير الوطني ذات مساء متأخر إلى "**يونس**" طالبين منه المساعدة وتزويدهم ببعض الاحتياجات من الأدوية والمؤونة...الخ.

في عام 1957 عاد " **جان كريستوف**" وتزوج من " **إيزابيل**" ورحل معها إلى مدينة وهران أين استقر معها هناك، حيث زاد توسع الحرب وهول الناس وتلقي خبر الانفجار والقتلى يوميا وهنا قتل كذلك **سيمون** وترملت **إيملي** مع طفل اسمه " **ميشال**" فغادرت

باتجاه وهران، أين لجأ يونس للبحث عن **ايملي** آملا أن يجدها تنتظره، لكنه فوجئ بالبرودة التي تلقاها من خلال لقائه بها رافضة إياه مؤنبة له على صده لها سابقا دون سبب، ينتقل "**يونس**" إلى مرحلة أخرى مغايرة من حياته وهي مغامرات يعيشها مع أعضاء الجبهة التي تنظم ثورات لتحرير الجزائر، وذلك رغما عنه بأوامر من هؤلاء الفتيان من الجبهة حيث تعرف على اثنان منهم، أحدهما "**جلول**" خادم صديقه " **أندري**" والثاني الذي صعق بالتعرف عليه وهو صديقه القديم في " **جنان جاتو**" " **هواري**" لقد تعرض يونس للتعذيب من طرف الشرطة بسبب كريمو خادم صديقه " **سيمون**" الذي باعه كان خادم حركي لدى الأجنبيين، أفرج عنه سبيله الجد "**روسيليو**".

بعد خروج يونس من السجن وقع في إحباط وفي هذا الوقت توسعت الثورة الجزائرية في كل أنحاء الوطن، وأصبح يسيطر ما يسمى بـــ FLN في الشارع، وبعدها عاد يونس للبحث عن **ايملي** في كل مكان وخاطر بنفسه ليجدها، حيث أقبل "**فابريس**" صديقه ليخرجه من وسط تلك الأحياء التي تنبعث منها روائح السم والموت، ووعده أن يساعده في البحث عنها، حيث يئس الاستعمار الفرنسي في محاولاته التي تسعى لاحتلال الجزائر.

وفي 04 جويلية 1962 التقى برجلين اصطحباه إلى ثكنة لجيش التحرير وفوجئ يونس بالملازم " **جلول**" الذي جاء سابقا يطلب احتياجات من الصيدلية، فأراد **جلول** تسديد الدين قدم له صديقه " **جون كريستوف**" الذي كان حبيس لدى الجبهة وهو في حالة مزرية كما تحدث في هذه الفترة عن الأجواء التي عمت وهران من زغاريد وأناشيد فرحا بخروج المستعمر من البلاد.

لقد سافر يونس إلى مرسيليا بعد تلقيه بخبر وفاة ايملي **(أكس أونبروفانس)** منذ أسبوعان يصدم بوجود ايملي على قيد الحياة ظل يونس يراسل ايملي لكن لم يجد منها ردا، إلى أن تلقى خبر موتها الحقيقي سنة 2008، بعد أن اصطحبه ابنها " **ميشال**" إلى

المقبرة وهناك التقى بـــ " **أندريه**" و " **فابريس**" وعائلة " **ميشال**"، حيث استرجعوا ذكريات " **ريوصالادو**" زالت العداوة بينه وبين " **جون كريستوف**" وعادا أصدقاء كما في السابق.

**الملحق رقم (03): صورة لواجهة الرواية "فضل الليل على النهار"**

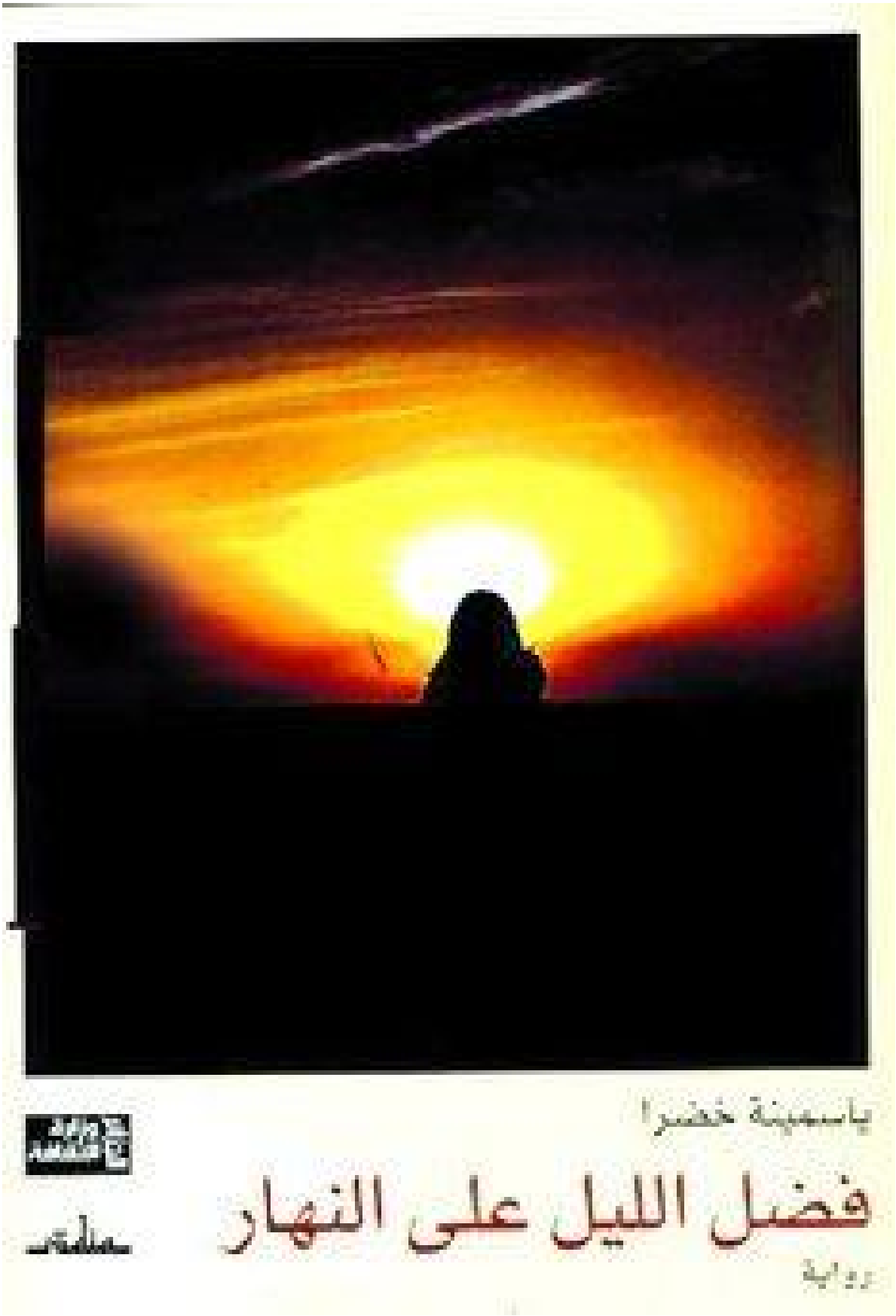
ياسمينة خضرا
فضل الليل على النهار
رواية

# قائمة المصادر والمراجع

**القرآن الكريم.**

**أولا/ المصادر والمراجع**

**1- المصادر.**

**1.** ياسمينة خضرا، فضل الليل على النهار، تر : محمد ساري، وزارة الثقافة، الجزائر.

**2- المراجع**

**2-1- المراجع باللغة العربية.**

**1.** أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2007.

**2.** إبراهيم سعدي: الرواية الفرنكفونية، بوصفها نصا متعدد الثقافات، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال اليوم الدراسي (الرواية بين ضفتي المتوسط)، الجزائر، 2011.

**3.** ابن منظور: لسان العرب، مادة (هـ - و- ي)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1990.

**4.** أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سيسيونقدية، دار ميم، الجزائر، ط1، 2013.

**5.** برهان غليون وسمير أمين: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر دمشق وبيروت، ط1، 1999/1420.

**6.** حسني محمود، الضفة الأخرى ( دراسات في الثقافة و الأدب و النقد )، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2008.

**7.** حفناوي بعلي: أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2004.

**8.** زهرة ديك: ياسمينة خضرا، هكذا تكلم، دار الهدى، ط1، 2013.

**9.** سامية إدريس: الرواية الجزائرية الحديثة بين الهوية الثقافية والهوية السردية.

**10.** سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 1430هـ/ 2009م.

**11.** سليم جيهان وآخرون: الثقافة العربية ( أسئلة التاطور و المستقبل ).

**12.** الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1998.

**13.** عايدة أمينة أديب، تطور الأدب القصصي في الجزائر (1925-1967)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1962.

**14.** عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، 1991.

**15.** عبد الغني عبود: العقيدة الإسلامية و الإيديولوجيات المعاصرة، سلسلة الإسلام وتحديات العصر، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1980.

**16.** عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2009.

**17.** عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ( 1925- 1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1983.

**18.** ــــــــــــــ: الإسلام و القضايا المعاصرة، دار هومة للنشر و التوزيع، بوزريعة الجزائر، د ط،2009.

**19.** عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988.

**20.** عبد الوهاب بن خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار طليطلة، الجزائر، ط1، 2009.

**21.** ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2013.

**22.** محمد أحمد بيومي: القيم ومواجهات السلوك الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة مصر، د ط، 2006.

**23.** محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2003.

**24.** محمد بن عبد العزيز ربيع: الثقافة وأزمة الهوية، ثقافة المقاومة، مؤتمر جامعة فلاديلفيا الدولي العاشر لكلية الآداب و الفنون، مطبعة الخط العربي، المملكة الأردنية الهاشمية، 2006.

**25.** محمد خليفة حسن أحمد: علاقة الإسلام باليهودية (رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية)، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة، دط، 1988.

**26.** موسى معيرشي: الجدل الديني و السياسي في اليهودية في الإسلام بين المقدس و المدنس، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة الجزائر، ط1، 2010..

**27.** نهال مهيدان: الآخر في الرواية النسوية العربية (في خطاب المرأة والجسد والثقافة)، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008.

**28.** واسيني الاعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

**29.** يوسف الأطرش: المنظور الروائي عند محمد ديب، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، د ط، 2004.

**2-2- المراجع باللغة الأجنبية.**

**30.** *jeruvan, sabek: dictionnaire el thilitngue anglais français arabe, maison sabek, paris.*

**2-3- المراجع المترجمة:**

**31.** بول ريكور: الهوية والسرد، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت- لبنان، د ط، 2009.

**32.** بيتر كوزان: البحث عن الهوية وتشتتها في حياة إيريك ايركسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، العين،الإمارات العربية المتحدة، د ط، 2010.

**33.** جورج لارين: الإيديولوجية و الهوية الثقافية ( الحداثة وحضور العالم الثالث ) تر: فريال حسن خليفة، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 2002.

**34.** غوربونوف: في الثقافة ( مساهمة لينين في تطوير النظرية الماركسية في الثقافة، تر: يوسف حلاق، دار الغرابي، بيروت، ط1، 1982.

**ثانيا- المجلات والدوريات:**

**35.** بن علي لونيس، هكذا تكلم مالك حداد، ما معنى أن تكتب بلغة الآخر، مجلة مسارات مجلة فصلية تصدر عن مديرية الثقافة لولاية الجلفة، العدد 03، 2014.

**36.** بوبكر بوسكين: حوار مع وسيني الأعرج، مجلة الموقف الأدبي (شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب)، العدد 434، دمشق- سوريا، حزيران 2007.

**37.** نوال بن صالح: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير، صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2011.

**ثالثا- الملتقيات والندوات الوطنية والدولية:**

38. سامية إدريس: الرواية الجزائرية الحديثة بين الهوية الثقافية والهوية السردية، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال اليوم الدراسي (الرواية بين ضفتي المتوسط)، الجزائر، 2011.

39. صفاء شريط وأمال مبروك: إشكالية الهوية والاغتراب في رواية ساق البامبو لسعود السنوسي، مذكرة ماستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2017

# فهرس المحتويات

| فهرس المحتويات | |
|---|---|
| **الموضوع** | **الصفحة** |
| **كلمة شكر** | |
| **مقدمة** | **أ-ج** |
| **الفصل الأول: الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية** | |
| **أولا: نشأة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.** | **05** |
| **ثانيا: مراحل تطور الأدب الجزائري.** | **07** |
| **1- الأدب الكولونيالي.** | **07** |
| **أ- الأدب الكولونيالي الاندماجي.** | **08** |
| **ب- الأدب الكولونيالي الثوري.** | **12** |
| **2- رواية ما بعد الاستقلال (رواية ما بعد الكولونيالية).** | **14** |
| **3- الأدب الاستعجالي: رواية الأزمة المكتوبة باللغة الفرنسية.** | **16** |
| **ثالثا- هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.** | **19** |
| **أ- مفهوم الهوية.** | **19** |
| **ب- القائلون بقومية الأدب.** | **22** |
| **ج- القائلون بأنه أدب فرنسي.** | **24** |
| **د- القائلون بأنه أدب بلا هوية.** | **25** |
| **الفصل الثاني: تمثلات الهوية في رواية فضل الليل على النهار** | |
| **أولا: اللغة** | **29** |
| **ثانيا: الدين.** | **32** |
| **ثالثا: العادات و التقاليد.** | **37** |
| **خاتمة** | **44** |
| **الملاحق** | **65-54** |

| | |
|---|---|
| قائمة المصادر والمراجع | 62 -59 |
| فهرس المحتويات | 65 - 64 |

**ملخص الرواية:**

يعيش الإنسان بكل تفاصيلها وظروفها مستسلما لمشيئة الله وقدره وقسمته في هذه الحياة، وهنا تعتبر رواية " **فضل الليل على النهار**" **لـــ ياسمينة خضرا** أنموذجا لأنها تقص علينا حيثيات أحداث ووقائع متسلسلة عاشتها عائلة يونس بصراع حاد خاضته ضد مسالك هذه الدنيا الوعرة، المليئة بالمتناقضات والمصائب التي لا تنتهي، وسوء المعيشة وضيق الحال، وما جعل النار تزيد اشتعالا وجود المستعمر بأرض الوطن الذي زاد من تقهقر الوضع وتدهور أكثر.

لقد بدأت انطلاقة هذه الرحلة من قرية في الريف، بحياة بسيطة هنيئة قبل هب العاصفة ليعيشوا بعد ذلك هول العاصفة التي أشعلت النيران في الحقول فالتهمت اليابس والأخضر، وما يزيد الطين بلة أخذ " القائد" لأرض الأجداد بالغصب.

بعد ذلك رحلت العائلة إلى مكان بالمدينة وهران يدعى " **جنان جاتو**" ليبنوا حياتهم من جديد، وهيهات مع ما اصطدموا به من مرارة وسوء للأوضاع هناك، فيسرد لنا يونس تفاصيل الحياة هناك بين انشغال الأب " **عيسى**" للبحث عن عمل بشكل مستمر وبين ما كان يواجهه هو الآخر، وما كان يحدث في الحوش مع أمه وبقية النسوة، وتعرفه على صديق يدعى "**هواري**".

كان هواري في هذه الفترة يجمع المال ليشارك أحدهم في العمل لربح أكثر، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد سلب ماله، وقام بقتل الفاعل، وهكذا بعدما استصعب الحياة ورأى أن الأخير ينتظره منح ابنه ويونس لأخيه الصيدلي " **ماجي**" ليعطيه حياة أفضل يستقبل مرق وزاهر.

كما يسرد لنا كذلك حياة يونس الجديدة مع زوجته " **جرمان**" الفرنسية، وزيارته لأهله من حين لآخر للاطمئنان وقد تفاجأ "**يونس**" باكتشاف حالة أبيه الذي أصبح سكيرا قذرا قمارا.

بعد مدة من الزمن اختفى والد يونس وللأبد، وقد تعرف إلى صديقة بالمدرسة اسمها " **لوسات**"، كما أن العم " **ماجد**" تعرض للعقاب من طرف الشرطة الأجنبية بسبب تنظيمه لاجتماعات سرية تخدم الوطن الجزائري في بيته، فقرر العم بعد خروجه من السجن الرحيل إلى منطقة " **ريوصالدو**".

وهنا أعجب " **يونس**" بالمكان وأخذ يصف جماله الرائع، وتعرف على صديقة أخرى اسمها " **إيميلي**" كانت تحقن كل يوم من طرف " **جرمان**" وفي هذه الفترة كانت حالة العم "**ماحي**" تعج بالكآبة والقلق والانطواء لوحده جراء التعذيب، ودون سابق إنذار تختفي "**إيميلي**" وتحل محلها " **ايزبيل**" حفيدة أكبر ثري في المنطقة إنه الجد " **روسيليو**" حيث انفصلت عنه بعدما اكتشفت جنسيته الحقيقية.

وتستمر الحياة في " **ريوصالادو**" فيلتقي يونس في المدرسة بأصدقاء آخرين ربطت بينهم صداقة حميمية كان " **جان كريشوفامي**" و " **فايرسا سكاماروني**" و " **سيمون بن يامين**" و " **أندري صوزا**" فأصبحوا لا يفترقون أبدا، ليعاودوا الحديث عن جريمة قتل داخل ذلك المنزل في " **جنان جاتو**" أين اختفت أم يونس وابنتها زهرة ولم يعرف أحد عنهم خبر قط، وكذلك العودة للحديث عن مغامرات يونس وأصدقاؤه وتعرفه على امرأة مسنة أجنبية " **كاريناف**" حاولت التقرب منه ثم أبعدته عنها بعد أن وقع في شباكها، وبعد سنوات كبر الأصدقاء وقام " **أندريه**" بفتح حانة جديدة أين دعاهم لتدشينها، حيث كانوا يلعبون البلياردو ويستمتعون بأوقاتهم ولطالما كانوا يعيدون نفس السهرة مع جو من الموسيقى واحتساء الشراب باستثناء يونس لم يشرب أبدا، ظهرت ذات يوم فتاة اسمها "**ايميلي**" وحيدة في الحانة وهي ذات جمال رائع ذهل الأصدقاء من هذا الجمال، الكل أعجب بهذا الجمال، الكل أعجب بها وأكثرهم " **سيمون**"، لكن فاز بها " **فابريس**" للخروج برفقتها ولكن " **ايميلي**" كانت تحاول الإيقاع بيونس بنظراتها المستمرة والتحديق به.

وفي هذه الآونة عاد العم "ماحي" شيئا فشيئا لدرب الحياة وبدأ يتفتح على طبيعتها، وهذا ما أسعد " **جيرمان**" و "**يونس**"، لقد تعرف يونس على " **إيميلي**" من جديد أن اكتشف

أنه الصيدلي، كما غضبت السيدة "**كازينا**" فمن إعجاب ابنتها **ايميلي** بالشاب **يونس** أين قررت مواجهته وتحذيره من الاقتراب منها بسبب علاقتها السابقة به. ووعدها **يونس** بأن شيئا لم يحصل بينه وبينها، وهنا بدأ يونس ينزعج من **ايميلي** وبدأ ينسحب من مجموعة الأصدقاء، وبعدها انفصلت **ايميلي** عن " **فابريس**" أين غادر إلى مدينة وهران فاستغل **جان كريستو** الوضع ليتقرب منها حيث قرر الارتباط بها، في حين فوجئ **بإيميلي** وهي تمسك يد يونس وقرر الرحيل ودخول العسكرية، بعد مرور زمن أخذ يونس يسترجع ذكرياته مع **ايميلي** تلك الفتاة الصغيرة التي التقاها في الصيدلية، وكانت **جيرمان** تحقنها كل يوم، أين أهداها هو الآخر يومها وردة في كتابها دون علم منها بذلك وكان خبر مفاجئ جدا ليونس.

قرر كريستوف مراسلة " **فابريس**" والاعتذار منه بعد فترة من الزمن ومراسلة باقي الأصدقاء إلا يونس الذي حدث سوء فهم بينهما، في هذه الأثناء قامت " **كازيناف**" بعقد شراكة تجارية مع" **سيمون**" لدار خياطة أين اقترحت عليه طلب يد ابنتها فوافق وزاد هذا الخبر من تعاسة يونس، حيث جاءت إليه **اميلي** تترجاه كي يصارحها بمشاعره بالرد بالرفض على عرض الزواج، لكنه بقي صامتا بعدها ارتبطت مستسلمة مع " **سيمون**".

تمر الأيام وتنقضي معها السنوات، وتتغير الأحوال ليصدم "يونس" بخبر موت العم " **ماحي**" وهو يوصي " **يونس**" بالزواج برغبته الشديدة في رؤية الأحفاد، من جهة أخرى بدأت نيران الحرب تنتشر في المدن والقرى، وتحدث الجرائد عن الإرهابيين والمتمردين والخارجين عن القانون، وصل البعض من المنتمين بما يسمى بجبهة التحرير الوطني ذات مساء متأخر إلى "**يونس**" طالبين منه المساعدة وتزويدهم ببعض الاحتياجات من الأدوية والمؤونة...الخ.

في عام 1957 عاد " **جان كريستوف**" وتزوج من " **إيزابيل**" ورحل معها إلى مدينة وهران أين استقر معها هناك، حيث زاد توسع الحرب وهول الناس وتلقي خبر الانفجار والقتلى يوميا وهنا قتل كذلك **سيمون** وترملت **إميلي** مع طفل اسمه " **ميشال**" فغادرت

باتجاه وهران، أين لجأ يونس للبحث عن **اميلي** آملا أن يجدها تنتظره، لكنه فوجئ بالبرودة التي تلقاها من خلال لقائه بها رافضة إياه مؤنبة له على صده لها سابقا دون سبب، ينتقل "**يونس**" إلى مرحلة أخرى مغايرة من حياته وهي مغامرات يعيشها مع أعضاء الجبهة التي تنظم ثورات لتحرير الجزائر، وذلك رغما عنه بأوامر من هؤلاء الفتيان من الجبهة حيث تعرف على اثنان منهم، أحدهما "**جلول**" خادم صديقه " **أندري**" والثاني الذي صعق بالتعرف عليه وهو صديقه القديم في " **جنان جاتو**" " **هواري**" لقد تعرض يونس للتعذيب من طرف الشرطة بسبب كريمو خادم صديقه " **سيمون**" الذي باعه كان خادم حركي لدى الأجنبيين، أفرج عنه سبيله الجد "**روسيليو**".

بعد خروج يونس من السجن وقع في إحباط وفي هذا الوقت توسعت الثورة الجزائرية في كل أنحاء الوطن، وأصبح يسيطر ما يسمى بـــ FLN في الشارع، وبعدها عاد يونس للبحث عن **اميلي** في كل مكان وخاطر بنفسه ليجدها، حيث أقبل "**فابريس**" صديقه ليخرجه من وسط تلك الأحياء التي تنبعث منها روائح السم والموت، ووعده أن يساعده في البحث عنها، حيث يئس الاستعمار الفرنسي في محاولاته التي تسعى لاحتلال الجزائر.

وفي 04 جويلية 1962 التقى برجلان اصطحباه إلى ثكنة لجيش التحرير وفوجئ يونس بالملازم " **جلول**" الذي جاء سابقا يطلب احتياجات من الصيدلية، فأراد **جلول** تسديد الدين قدم له صديقه " **جون كريستوف**" الذي كان حبيس لدى الجبهة وهو في حالة مزرية كما تحدث في هذه الفترة عن الأجواء التي عمت وهران من زغاريد وأناشيد فرحا بخروج المستعمر من البلاد.

لقد سافر يونس إلى مرسيليا بعد تلقيه بخبر وفاة اميلي **(أكس أونبروفانس)** منذ أسبوعان يصدم بوجود اميلي على قيد الحياة ظل يونس يراسل اميلي لكن لم يجد منها ردا، إلى أن تلقى خبر موتها الحقيقي سنة 2008، بعد أن اصطحبه ابنها " **ميشال**" إلى

المقبرة وهناك التقى بـــ " **أندريه**" و " **فابريس**" وعائلة " **ميشال**"، حيث استرجعوا ذكريات " **ريوصالادو**" زالت العداوة بينه وبين " **جون كرسيو**" وعادا أصدقاء كما في السابق.

**ملخص:**

تعد إشكالية الهوية من القضايا الشائكة التي تناولتها الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة، إذ كانت بارزة وجلية في أعمال الكثيرين من الروائيين والروائيات، ومن بينهم:" رواية فضل الليل على النهار" لـ: الكاتب الروائي ياسمينة خضرا، حيث تطرقنا فيها إلى عناصر الهوية التي اعتمدتها الرواية، منها: اللغة، الدين، العادات والتقاليد، المرأة وغيرها، واعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، كما اعتمدنا أيضا على بعض المصادر والمراجع منها: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه للكاتب" أحمد منور" وكتاب " الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية للكاتبة" أم الخير جبور"

**الكلمات المفتاحية: الرواية – الهوية- اللغة- العادات – التقاليد- الدين- المرأة**

## Abstract

*The problem of identity is one of the thorny issues, which was discussed in modern and contemporary algerian novel, as it was prominent and evident in the work of many novelists, among them: "novel of fadl alayl ala annahar" by: the novelist yasmina khadra, where we discussed the elements of identity adopted by the novel, including: language, religion, customs and traditions customs and traditions and others, and we adopted the descriptive analytical method, And we also relied on some of the references including:*

*Aladab aljazairi bilissan alfiransi, its origins and development, and its issues of the writer "Ahmed Manour" and the book "The Algerian novel written in French by the writer" om el Khair Jabbour "*

***The Key words : The Novel, The Identity, The Language, The Customs, The Traditions, The Religion, The Women***